الغربة المحمودة

(رواية باللهجة العدنية)

عريس..و حلج..و هربة من البلد

حسين طلال

الغربة المحمودة

حسين طلال

2023م

عنوان الكتاب	***الغربة المحمودة***
تأليف	**حسين طلال**
تاريخ	**2023م**
التصنيف	**رواية درامية بلهجة محلية دارجة (عدنية)**
عدد الكلمات	**واحد و عشرون ألف كلمة**
تحرير و تدقيق و إخراج و تصميم	**حسين طلال**
تواصل مع الكاتب	
جوال	**00967773314203**
بريد اليكتروني	**Husaintalal1990@gmail.com**
فيسبوك	**https://www.facebook.com/kindo.valderian**

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية و الهيئة العامة للكتاب بمحافظة عدن

1481 / 2025م

التزام أدبي و مهني و أخلاقي:

إن كاتب هذا الكتاب، يسمح بتحميل و نشر و طباعة الكتاب للاستخدام الشخصي، غير أنه لمن قام بتحميل ملف هذا الكتاب أو حصل عليه، فإنه يلتزم التزامًا أخلاقيًا و مهنيًا و أدبيًا بالتواصل مع الكاتب عبر كافة قنوات التواصل المتاحة للحصول على إذن شخصي مكتوب منه

إن أي تشابه بين شخصيات و أحداث هذه الرواية و بين شخصيات و أحداث من الحياة الواقعية فهو من قبيل الصدفة الكونية

إلى من قال لي ليس هنالك مكان للقلم العدني بين أقلام الأدب

لا تحتاج عدن إلى آراءك

إلى كل من عاش غريبًا في أرضه، لست وحدك

"بالرغم من أن جميع سكان عدن كواهلهم مثقلة بالعمل إلا أنه لا يوجد شيئًا على الاطلاق ليفعلونه. و تلك لأسوأ مقولة يمكن طرحها عن البشر لأنها اعتراف بأنهم قد حكم عليهم بحالة من الفراغ الأبدي.
ليس لهم حتى فتات من الواقع و لا حتى فعل واحد يبلغ بهم إلى شيء ما.
إنها حياة الضجر غير المجدي في وسط رفاق قد جعلتهم السنون يعتادون على كل ما هو غير موجود. إنها ظلال ولدتها أصناف الجوع كافة، ففي وقت المجاعة و حين لا يوجد الخبز تنتاب الناس هلوسات. فما الذي يمكنك فعله؟ هل تتعلم العيش مع الملل؟ هل تموت هذه الميتة؟ ليس لك من خيار و بما أنك لا تريد أن تموت بعد؛ لأن ذلك سيكون أشبه بالإساءة إلى شخص ما، و قرين تجاهل أكثر علامات الحياة سراً فأنك أيضاً تغرق في الملل. إنك تبدأ تقيم في وسط تلك الحيوانات التي لم يعد باقياً لها أي شيء، و حب بعضها البعض بلهفة منافقة في غير موضعها فعلًا"

بول نيزان
عدن العربية

1.من يحمد الله يعش غنياً

المعلا....

يقال أنها تعني المكان العالي المرتفع، و لكن لا يجوز رفع التوقعات و الأماني فيها، باستثناء الدعوات التي لا يوقفها شيء.

مشهد متكرر....

قَرْع المقالي و أكواب الشاي الزجاجية الصفراء في المقاهي، و ارتفاع مزيجٍ من روائح الخمير و الفاصوليا إلى الشرفات في الجزء العتيق من المعلا حيث يشق الشارع الرئيسي المعلا كشريان أورطي مذبول، و جعجعة البشر ما بين آتٍ و ذاهب، هذا لعمله، و هذا لدكانه، و تلك لدوامها، و تلك لدراستها، مشهد متكرر متكرر متكرر لابد لابد لابد أن يحدث كل يوم.

"يلا معليش"

تنهدت نجمة، الشابة الممشوقة القوام ذات الشعر البني الغامق الطويل، و أغمضت عينيها بعد أن ألقت نظرة من نافذتها على ما يحدث يومياً أسفل الشقة التي تسكنها في المعلا، تَكُرُّر هذا المشهد يومياً يصيبها بالضجر، لكنها تعرف أن هذا الملل يعني أن حياتها على ما يرام "الحمد لله" تكررها نجمة على لسانها كلما تذكرت.

ينشد هاتفها أغنية قديمة من محفوظاتها:

صباح الخير من بدري أمانة شلها يا طير
وصحي اللي نوى هجري وقل له يا صباح الخير
ومن همي وآهاتي تبلغ له تحياتي وأشواقي اليه يا طير
وقل له يا صباح الخير

من ضمن واجباتها المتكررة، تجهيز ابنتها عدن، و ابنها عمران، للمدرسة، و يدخل ضمن ذلك اللباس و الإفطار ثم النزول معهما أسفل العمارة تحت شمس الصباح الساطعة سطوعًا ليس بلطيف و انتظار باص المدرسة لأخذهم، الصاخب بالأطفال الذين لا يجلس أحدهم في مكانه و لو أراد.

و ما إن أغلقت بابها بعد رحيل أولادها و همها بنزع حجابها هروباً من خنقة الحر، إذ بذات الباب يدق دقاً جعلها تزفر تململاً لأنها تعرف من صاحبه.

"مين؟"

"أني أني"

"منو انتي؟"

"اووووه يا نجمة يا لَوَكْ قده كل يوم أجي و لازم تفعلي لي دي الحركة!"

فتحت نجمة الباب لتندفع امرأةٌ نحيلة، تنزع صنادلها و حجابها هي الأخرى، و كأن مغناطيساً يجذبها إلى المطبخ "اووه يا نجمة عادك ما صلحتي الشاهي؟" سَأَلَتْ في وقاحة.

"كم مرات أَفَهِّمك إنه أني أنزل استقيم مع الجهال لما يجيلهم الباص يا أنيسة، لكن يعجبك يعججعجبك تناجمي من الصبح" أجابتها نجمة.

"قده اسمك نجمة معناته يعجبك المناجمة"

"....."

"بس لا تشمقيش بيقرح لك عرق، خلاص أني اللي بأصلح، روحي جسي"

و شمرت الجارة أنيسة عن ساعديها في حماس و هي تخلط مكونات الشاي و على وجهها ابتسامة كابتسامة السحرة، ذلك ما خطر في بال نجمة و هي تتركها و تذهب و تجلس، هذه الأنيسة زوجها يعمل طوال اليوم و لا يعود إلا مساءً و ليس لها أولاد، فلعلها تشعر بالوحدة بمفردها، فلا بأس من تحملها، و هكذا

الغربة المحمودة - حنين طلال

استرسلت نجمة في تفكيرها حتى أتاها الشاي أمامها، و جلست بجانبها الجارة أنيسة و ارتشفت رشفة.

"مدري كيف تشربوا و هو كدا يفور" سألت نجمة.

"اوه ما يقرح المزاج الا و هو يفور" ردت أنيسة و هي تمسح شفتها.

"هو زيما قلتي مزاج، أني ما أشرب الا معك"

"دحين ايش معك تستقيمي مع الجهال يومياً تسلخي نفسك بالحما؟ خليلهم حالهم بيطلعوا الباص قده، مو بيضيعوا؟"

"يا أنيسة عادهم جهال، الله أعلم داك الوقت مين يجزع و الا احد يبهزهم"

"يا شيخة خليها على الله، الحافظ الله، كل الجهال ينزلوا من نفوسهم و يطلعوا من نفوسهم"

"و نعم بالله بس الله قال خدوا بالأسباب، أبوهم وصاني عليهم و أَمَّنّي عليهم"

"ما قالش متى بينزل؟ و الا أوروبا و البرود عجبنه؟"

"مدري و الله، ما هدرناش كتير لما وصى حق الإيجار و المصروف آخر مرة"

هنا اعتدلت أنيسة في جلستها و فتحت حواسها و استفسرت: "إيجار؟ ايش بتروحوا تأجروا؟ و دا البيت مش حقكم؟"

لترد عليها نجمة بعد أن برد الشاي أخيراً فأخذته و قلبت ما فيه بالملعقة و ارتشفت: "البيت حقنا حق زوجي زكريا، بس هو سجله باسم أخوه، هذاك خالد الضعيف عرفتيه؟ هو سجل الشقة باسمه و نحنا جالسين كما المستأجرين"

"اصبري اصبري ايش هذه الخبارة عادني مش دارية! بروح ازيد قلص"

و جرت أنيسة للمطبخ في حماس و أحضرت إبريق الشاي بأكمله و سكبت منه لنفسها، ثم أرادت أن تسكب لنجمة فأومأت بالرفض. ثم التفتت أنيسة إليها و

طلبت منها أن تكمل: "الآن قولي لي، البيت حق زوجك، و راح سجله باسم أخوه، و خلاكم تجلسوا كما المستأجرين؟ يعني تسلمي إيجار لأخوه"

"ايوه"

"اه؟ كيف كدا؟ منو يصلح كدا؟"

"أني أظن، إنه شاف أخوه بلا شغل و ما قدرش يسافر معه قام يشتي يساعده من غير ما يحرجه و سوى دي الحركة"

"و دحين تسلموا له كل شهر بشهره؟"

"أظن عادني الآن شرحت لك"

"ملي ما دخلش براسي، يلا اشلي أني.....تاريخ كم تسلموله؟"

"عادك قلتي اشلك.....تاريخ تلاتين، لو قلت له انه تاريخ خمسة و عشرين نستلم بيجي يطنبر ساني عند الباب"

"او او او على مصلابة"

قهقهت أنيسة بأعلى صوتها، و ضحكت نجمة بخفة، و التي نهضت بعد أن أنهت كوب الشاي بصعوبة: "باقوم اتمهر لي قليل، خدي راحتك انتي عادي"

"او مالك جسي بنتشوه، ايش من مهرة قده بيتك يبرق بريق"

"قولي ما شاء الله"

"ما شاء الله ما شاء الله مو بامرعك؟! أقول لك بس أنه بيتك قده مرتب"

"بيتي مرتب لأنه مكانني أبادره"

"ايش قصدك؟"

"قصدي ولا قصدي، المهم، البيت بيتك يا أنيسة من صدق خدي راحتك انتي قدك منا و فينا"

"حبيبتي أني فدالك"

****

"ماما! عمو خالد اجا!"

(ايش قده تاريخ تلاتين؟!.....عاده تسعة و عشرين، ماله اجا؟)

استنكرت نجمة فيما بين نفسها و هي تبادر الحجاب استعداداً لدخول حماها خالد، أخو زوجها زكريا، ثم أسرعت لتذكرها أن هذا الرجل يدخل و يمشي و كأنه يركض خائفاً من أسدٍ خلفه.

"سلاااااام عليكم!"

"و عليكم السلام حياك يا خالد اتفضل"

و كان خالد لم ينتظرها تكمل كلامها و دخل و جلس من تلقاء نفسه، ثم يجيء إليه أولاد أخيه و ينبري الولد عمران: "عمو ايش جزعت لي؟"

فيرد العم: "و لا جَزَّعْت حاجة عادك مفروض تِجَزِّع لي انتا"

و بينما يلاعب أولاد أخيه، دخلت نجمة بيدها ظرفٌ بنيٌّ أشرقت له عيون خالد.

"كيفك يا مرت أخي؟"

"تمام الحمد لله، أنت كيف عامل؟"

"قدام قدام نمشي قده نداهف"

"اللهم لك الحمد"

"دحين ايش أصيح لك؟ يا مرت أخي و الا يا أم عمران و الا يا أم عدن؟"

"عادي عادي أي حاجة اللي تحب.....يا عدن، كي ودي لعمو"

قفزت الصبية عدن ذات السنوات السبع من العمر من بين يدي عمها، و كأن مصير العالم يعتمد على سرعتها في أن توصل الظرف إليه وفعلت، ليطبع عمها قبلة على خدها.

"اووه فديت الصورة هذه، يا مرت أخي لو تحتاجوها خليها"

"لا لا قده الخير موجود الحمد لله أخوك ما يقصر معانا"

"اي و الله إنه رجال، بس طول هذه المرة ما نزلش، ايش يهم الحما لابد؟"

"و الله مدري لما آخر مرة اتصل حسيته ضبحان قلت ما بأبغربوش، مرة تاني بأكلمه"

"هيا تمام، يلا أنا نازل أستأذنك يا مرت أخي"

"او مالك عادك ما شربت حاجة"

"مشتيش اشرب مستعجل بنزل السووووق"

ابتسمت نجمة و هي و أولادها يودعون العم خالد و هو ينزل الدرج بنفس سرعة دخوله للبيت، ثم استذكرت: "اوه يا عيال راح الوقت هيا بنصفي البيت مشان بيجوا الحريم!"

"ماما بيجوا البنات؟" سألت عدن.

"بيجوا كل أصحابكم و بأفك لكم الدارة ادخلوا كلكم ألعبوا و شعتلوا" ردت نجمة في دفء.

و بعد أن انطلقا في مهامها، شغلت أمهما أغنية من هاتفها، تساعدها (من وجهة نظرها) على العمل:

رحنا إلى البندر في شهر نيسان
نشتي نبيع الفل لكل ولهان
ضيّعت أنا خِلي واصبحت هيمان
روحت أنا و القلب في الشيخ عثمان
نادى عليْ أهيف من شبكْ روشان
قال لي قطفتْ الفل من أي بستان
هديتْ له بالفل من غير أثمان
هدى بداله لي تفاح ورمان
أهيف وساحر آه والطرف نعسان
أنت السبب يا خِل ضيّعت انسان

****

بعد ليلة جمعة طويلة اعتادت نجمة على تنظيمها كل أسبوع، و التي مضمونها أنها تجمع نساء العمارة و بعض البيوت المحيطة ممن تعرف أن أحوالهم صعبة، و تعد لهم مجلساً يتضمن عشاءً و فاكهةً و مسليات، توزع عليهن فيه الفل و الشقر و الأخضرين و المشموم و الفوفل الملبس و الفلوري و حلاوة الكيك و الفلوري و الحلاوة اللحجية الفاخرة، مجلسها أشبه بجنة نساء الحي و أقصى درجات المرح و الترفيه لأي امرأةٍ من النوع التقليدي العادي القديم الطراز.

بعد تلك الليلة و بعد نوم الأولاد، يأتي ذلك الجزء المفضل من اليوم عندها، حيث تتصل اتصال فيديو لزوجها المغترب في أوروبا، ليرد عليها في كل مرة بمزحاته السخيفة التي تضحكها في كل مرة.

"مش قصدي أضبحبك و الله بس متى بتنزل يا زكريا؟ العيال و الله فقدولك"

"العيال و الا انتي فقدتيلي؟" مازحها زكريا كعادته بابتسامة ساخرة.

"العيال و أني و الله فقدنالك"

"و الله مش بيدي، والفين يِهَبُلِّي اجازات كل مرة، بس دي المرة مدري مالهم عنقروا مارضوش"

"ليش ايش في؟"

"ما فيش حاجة لا تقلقي و لا تتشجني"

"أصلاً لك سنة دي المرة طولتا مش....."

ثم قاطع كلامها صوت خبط باب يأتي من الجهة الأخرى من الهاتف: "يا نجمة بأبند بأهادرك بعدين يلا!"

ثم أغلق المحادثة.....

2.أولاً

صباحٌ آخر....

دورة أخرى من نفس الروتين الصباحي الذي يحدث يومياً، غير أنه هذه المرة استوقفت نجمة فتاةً تعمل خادمة في البيوت اسمها هاجرة، كان بيت نجمة هو المكان المفضل لهاجرة، و نجمة هي أفضل من عملت عنده، تتردد يوم الخميس عند نجمة لمساعدتها في التجهيز لاجتماع النساء الأسبوعي يوم الجمعة، و لأنها تغيبت هذه المرة، سألتها نجمة.

"فينك يا هاجرة أمس عسى ما شر؟"

"سامحيني يا ست نجمة و الله استوالي ظرف أمس ما قدرتش أجزع لك؟"

"ايش في معك؟ استوى حاجة؟"

"لا ما فيش حاجة"

"طيب مالك؟"

"و الله و الله يا ست نجمة ما فيش حاجة"

"طيب اسمعي، قدني زحفاااااانة مافيبيش طافة انفع خصار، كلمي توفيق يجزع لي"

"توفيق ما هلوش"

"ايش عرفك؟ ما هلوش بحقه الغرفة؟"

"قصدي إنه شفته خرج أول مدري فين راح"

"المهم لو شفتيه وصيه فيسع لعندي اوبي تنسي"

"ولا يهمك يا ست نجمة"

ثم بعد غفوة غفتها نجمة في بيتها بعد محادثتها لهاجرة، استفاقت على دق بابها، و نظرت للساعة فتفاجأت أنها قد تجاوزت الحادية عشرة و النصف، فنادت: "من؟!"

"أنا أنا توفيق يا ست نجمة"

فقامت نجمة و ردت دون أن تفتح الباب: "فينك يا توفيق من الصبح منتظرالك؟"

"سامحينا لو أتأخرت عليك يا ست نجمة"

"ايش فيبك أنت كمان؟"

"ولا شي و الله ما فيش حاجة سامحينا"

"شوف متى أجيتلي و متى بنجح الغدا.....المهم ها امسك" و مدت له ورقة الطلبات و النقود من شق الباب "قفزة تجيب اللي مكتوب و ترجع"

"انتي تؤمري أمر يا ست الكل"

"و اللي تزيد خلي معك"

"الله لا يحرمنا من خيرك يا ست نجمة"

و بينما تراقب نجمة من عين الباب نزول حارس العمارة توفيق، داهمتها الجارة أنيسة: "يا نجمة هلك؟"

نوت نجمة أن تسكت عل الجارة أنيسة تيأس و ترحل، لكن الحارس توفيق بنية طيبة أراد أن يصنع معروفاً فقال: "ايوه هلها عادنا الآن كنت أهادرها"

"هيا فكي يا نجمة"

صفعت نجمة جبهتها ثم أخذت نفساً عميقاً كي تهدئ نفسها ثم فتحت الباب.

"ساعة تفكي الباب؟"

"ملي كنت مستنياله ينزل"

"منو؟ توفيق؟"

"لا جدي أنور الله يرحمه"

و كالعادة تنزع الجارة أنيسة حجابها و تذهب تجلس في المجلس تنتظر ساعة الغداء إن لم يكن الشاي، فبادرتها نجمة بالسؤال: "دحين ايش جابك؟"

"مالك؟ تشتيني اروح بأروح"

"جسي جسي يا ملكة الاحساس اصافطك"

"عادك ما نجحتي غدا؟"

"الأفندي أتأخر بالخصار عليا"

"منو؟ توفيق؟"

"ايوا"

"و الله أقول لك شوفي، بس ها لا تقولي انني قلت لك، بس دايماً اشوفه هو و ديك الشغالة هاجرة يتهادروا و يتخافسوا"

"و انتي اشلك منهم؟"

"بس اقول لك يعني لعاد يجيبوا مصيبة فوق راسك مش تقولي أنيسة ما قالت لي.....على دكر المصايب.....شفتي هاديك الحرمة المرتاحة السودا اللي والفة تجي عندك؟"

"مين؟ آمنة؟ ماله؟"

"ايوا، مدري ليش أني مش مرتاحة لها"

"يعني مش عاجبك انها تجي بأدبها و تروح بأدبها؟"

"ملي هو دا اللي جاب لي الشجن، إنها تجي تجس و لا تهدر، تتسمع بس، في شي وراها"

"انتي ما يعجبك لما الواحد يكون كافي خيره شره"

"لا بس ليش ما تهدر؟ لازم تهدر"

"لازم تهدر؟"

"كدا الحياة لازم تكون"

"....."

"اسمعي باقول لك.....دحين انتي كم تسأليني؟"

"عيب يا أنيسة نحنا خوات، ما فيش بيننا سلف و دين"

"فديت رجولك و الله.....أقول لك.....معك حق عشرة ألف بتقدميني؟"

"مالك يا أنيسة تتلككي لا تكوني تستحي الناس للناس، اصبري باجيبها"

****

نهاية اليوم هي الجزء المفضل لدى نجمة و ولديها، يقضون ساعات في التحدث مع والدهم زكريا عبر مكالمات الفيديو، يحكون له ما يحدث معهم و هو يستمع و يتفاعل معهم، معوضاً إلى حدٍّ ما غيابه عنهم، و يصعب على الأولاد إخفاء الشرارة التي في عيونهم لرؤية والدهم.

تنبري عدن في فخر قائلة: "بابا اليوم جبت عشرين من عشرين بالإملاء قالت الست بتفعل لنا حفلة يوم الأحد"

ليرد عليها والدها في دفء: "شباش شباش بنتي الحبوبة، و انت يا عمران ايش درستم اليوم؟"

اعتدل عمران، الذي لم يصل للتاسعة من عمره بعد، في جلسته في إيحاء لكونه الرجل في غياب أبيه كما يخبره دائماً: "اليوم درسنا بر الوالدين و جاوبت على كل السؤالات كلما ساع ارفع يدي"

"سؤالات....." ضحك الأب و الأم في خفة، ثم اتبع عمران: "و لما بتوصل يا بابا بنفعل لك حفلة كبيير"

و أضافت عدن: "و بشتريلك كل الهديات و الحاجات شبس و بطاط حمر و شرايح و سمبوسة و باجية و العواف و المدربش و حلاوة اللبن و كيكة كبيرة كل حاجة باجيب لك"

مسحت نجمة على رأسيهما: "قولوا ربنا يوصلك بالسلامة ان شاء الله يا بابا"

"ربنا يوصلك بالسلامة يا بابا"

"بنخلي يكتبوا فوق الكيكة بالشوكولاتات مرحبًا بك يا بابا أهلاً و سهلاً!"

و استمروا في الحديث و الضحك بكل وئام و دفء حتى بدأ يتثاءب الأطفال و ما شعروا أنهم قد أسلموا للنوم.

ابتسم زكريا ابتسامة ساخرة: "و أنا كمان فيبي نوم"

و ابتسمت نجمة كذلك في مكر: "عادك عادك أمس هربتا عليا"

و تسامرا تلك الليلة في ود.

****

مرة أخرى يتغيب توفيق عن تنفيذ مهمته الروتينية التي تكلفه بها نجمة و هو إحضار ما يوضع في إدام الغداء، فتضطر نجمة للخروج مع ولديها لشراء الحاجيات للبيت، اليوم هو السبت و هو يوم لا تفهم نجمة لم هو إجازة من المدارس بدلًا من الخميس، و بالتالي تضطر اليوم لسحب عدن و عمران معها.

و بعد أن دارت بين المحلات و اشترت ما تحتاجه، تحمد الله في ذات الوقت أن الباعة قد اعتادوها زبونةً لديهم، و الا فمظهرها و طريقة كلامها تغري أي بائع باستغلالها في الأسعار، و مفاوضات البيع و الشراء هي مهارة لا تجيدها و لا تحبها، بل تراها محرمة و مكروهة.

و قبل أن تقطع الشارع الرئيسي أو شارع مدرم عودةً إلى العمارة التي تسكن فيها، استوقفتها امرأة متسولة تشبثت بعباءتها، و بقدر ما كان هذا التصرف يغيظها، إلا أنها حافظت على هدوءها و آثرت أن لا تقطع عادتها في أن لا ترد سائلاً.

و في ذات اللحظة....

انزلقت يد ابنها عمران و مشى نحو الشارع يقطعه دون أن تشعر هي، و دون أن ينتبه هو إلى أن أمه قد توقفت، و نسي الطفل أن يلتفت....

لتأتي في تلك اللحظة سيارة مسرعة تسير عكس الشارع.....

تطرح عمران أرضاً و تهرب مسرعةً.....

و تجمد الزمن في عيون نجمة...

و هي تشاهد الدم يسيل من رأس ابنها على الشارع.....

3.ثانياً

لم تلقِ نجمة بالاً للسيارة التي فرت هاربة، بل انصب اهتمامها غريزياً شق زحام الناس الذي لا داعي له كي تصل إلى ابنها، الذي بادر أحد القوم بحمله لسيارته، و لولا صراخ نجمة باسم ابنها لسارت تلك السيارة به إلى حيث لا تدري.

صعدت مع الرجل الذي تطوع لإنقاذ الموقف مع ابنتها، و أوصلهم سريعاً إلى أقرب مستشفى بالمعلا.

صراخ الأم المكظوم الذي خرج لأول مرة من تلك الحنجرة طوال حياتها، كان كفيلاً بإيقاظ من كان نائماً أو متغافلاً هناك، و تم إنزال الطبيب ليعاين الطفل المصاب ليأمر بنقله للعمليات.

مرت ساعة.....

ثم ساعة.....

ثم خرج: "الحمد لله عالسلامة"

تهللت أسارير نجمة و كادت أن تسجد شكراً لله و تكرر: "الحمد لله الحمد لله"

"فينه أبو الجاهل؟" سأل الدكتور.

"أبوه مسافر، أني أمه" أجابت نجمة.

"استهدي بالله و قولي لا إله الا الله"

"لا إله الا الله! ايش؟! مات ابني؟!"

"لا لا ما ماتش الحمد لله، بس الدقة أجت حامي براسه، دخلنه بغيبوبة، تشتي نطرحه بغرفة عندنا؟"

"ايش من غيبوبة ايش من غرفة فهمني؟!"

"يا استاذة، الولد لما دهفه البابور اندق راسه بالرصدة اسْتَوَلُّه صدمة بالدماغ، من الله إنه ما مات، بس الله أعلم الغيبوبة هذه متى بيقوم منها، افتهم لك؟"

"فهمت، ملي بدخل أشوفه"

"لحظة، لا قدك بتحجزي غرفة عندنا انزلي ادفعي الرسوم بالاستقبال و الممرضات بيتصرفوا و لا يهمك"

نزلت نجمة من الدور الثاني نزولًا من الدرج إلى بهو المستشفى لتجد السائق الذي أوصلهم ينتظرها و يبادرها بالسؤال و الاطمئنان: "عسى ما شر؟"

لتجيب: "لا هو تمام الحمد لله، جزاك الله خير"

"أنا بقفز باكلم لك الشرطة معيا واحد صاحبي هناك باخلي يجيبنه اللي دقه"

"تمام"

"بس التانكي حق البابور قده زيرو و كنت باروح الشغل و اسحب و ....."

"لا تهم أني بأهب لك"

اعطته مبلغاً، و دفعت للمستشفى، ثم صعدت مجدداً جرياً على درج مستشفىً لا مصعد له، تجر ابنتها معها، التي رثت لها هي الأخرى و لكن ما بيدها حيلة، إلى الغرفة التي نقلوا ابنها إليها، و هناك لم يتمالك قلبها تقطعاً لرؤية الأجهزة الطبية على ابنها و هي تصدر صوت طنينٍ متردٍ باردٍ كريه، فانكبت هي و ابنتها تبكي عليه....

****

صباحاً مرت نجمة على مركز الشرطة لترى ما مآل الأمر بعد أن استودعت الله ابنها في أيدي الممرضات و أخذت ابنتها معها، و في مركز الشرطة في مكتب القائد، نفث ذلك القائد دخان سيجارة محلية و فتح المحضر: "اسمه المصاب؟"

"عمران زكريا جلال العدني"

"العدني؟ من فين انتو؟"

"نحنا من ما خلقنا و نحنا حالين هنا بعدن"

"ايوه من فين أنتم؟"

"من عدن"

"أصلكم من فين؟

"عدن"

"فينه أبوه ليش ما أجا؟"

"أبوه مسافر مغترب"

"ها.....هممممم.....ما شليتيش رقم البابور؟"

"لا و الله ما كنت بحسي"

"غلطانة كنتي بتشلي رقم البابور"

"....."

"طيب في أحد مستقصدك و الا مترصدلك؟"

"ما أظن"

"هممم.....احم.....خلاص انتي روحي الآن و نحنا بنهتم بالموضوع ولا يهمك"

****

الغزالة المحمودة - حسين طلال

صباحٌ آخر.....

لم ترسل نجمة ولديها إلى المدرسة هذه المرة، و أنى لها ذلك و هي تمضي ليلة باردة ثانية في المستشفى مع ابنها.....

ازدادت حرارة هاتفها و هي تلقمه محاولات اتصالات لا متناهية، إلى الجارة أنيسة، إلى العم خالد، إلى زوجها زكريا، و لا أحد يجيب....فما كان منها إلا أن قامت و أيقظت ابنتها كي تذهبا للبيت و تحضرا بعض الأغراض، طبعاً بعد أن وصت على الممرضات.

و لدى وصولها و صعودها هي وابنتها درج العمارة، لاح لها منظر لم تكن تتوقعه و لا ليخطر على بالها أنها تراه نظراً للموقف الحالي و الظروف المواتية.

إذ رأت ذلك الحارس توفيق يكاد يلتصق بالخادمة هاجرة و يمسح لها وجنتيها، لينتفض الاثنان جزعاً لرؤيتها.

"ست نجمة!!"

"استري علينا يا ست نجمة!!!"

"و الله و الله الآن بأروح يا ست نجمة و ما بتشوفي نحنا بس استري علينا!"

كان عقل نجمة في مكانٍ آخر، بعيد، بعيد جداً، في مكان أبعد من مجرة درب التبانة، و ربما قد تجاوز الكون الحالي إلى ما هو أبعد، بالها مشغول على حالة ابنها، و تريد الاتصال على زوجها ليكون له علم بما جرى، و ألف شغلٍ و شغلٍ، ثم من بين كل الحوادث التي قد تحدث في الدنيا، يحدث هذا.

راقبت استجداءاتهما دون تغير شيءٌ في وجهها، ثم تكلمت أخيراً: "ادخلوا"

فتحت باب شقتها و أمرتهما بالدخول "انتو تدروا أني فين كنت لي يومين؟"

"لا و الله يا ست نجمة قد نحنا اتشجنا عليك قلنا فينها" ردا بصوتٍ واحد.

"اتشجنتوا و الا خلا لكم الجو و أني ما هلنيش؟!"

طأطأ الاثنان رأسهما في استحياءٍ و خجل، ثم انبرى توفيق: "أنا بأقول لك على الموضوع يا ست نجمة، بس لا تقولي لحد علينا الله يرضى عليك و يخليلك أولادك"

"اهدر" قالت نجمة و هي تجلس و ترفع حاجبًا.

"أنا.....رحت طلبت يد هاجرة من أبوها، اشتي استتر و أشتي أحد يمارض أمي قده ما معي بالدنيا الا هي، أبوها قال تمام و هي قالت تمام، بس أبوها يشتي مني مليون مهر و حق القاعة، و أنا ما فيش معي، أنا قدنا اشتغل و أطلع حق اليومية و الخصار لي و لأمي و للعلاجات و قدك أنتي تواسينا جزاكي الله خير، بس هي دي اللي فصعت ظهري، و اليوم يعني.....نسينا نفوسنا و.....أنا أفدالك أنا أفدى الرجول حقك يا ست نجمة لا تفضحي نحنا....."

"اسمع اسمع" حزمت نجمة في لهجتها "رَوِّح الآن الغرفة حقك، و لا من شاف و لا من درى، بعدين بأصيح لك بأقول لك ايش بيصطلح"

خرج توفيق، و همت هاجرة بالخروج "جسي يا هاجرة" أمرتها نجمة بالجلوس.

"صدق دا الكلام يا هاجرة؟"

"ايوا يا ست نجمة"

"و ايش دا اللي استوى دحين؟"

".....ز....زاد.....علينا الشيطان"

"يعني لو ما كنت أجيت؟"

"و الله أني آسفة سامحيني يا ست نجمة أنتي خيرك مغرقني سامحيني و الله بأروح بيتنا و لا عاد بتشوفي صورتي" أجهشت هاجرة بالبكاء، ما جعل نجمة تزفر و تفكر.

"بأسألك و جاوبيني الصدق، أنتي تشتيه هذا توفيق؟ موافقة عليه؟"

"".....ايوا....."

"شوفي الزواج مش لعب، يشتيك عادك تمارضي أمه"

"أدري، أني مرة رحت عند أمه، ايش على حجة مسكيييينة، هي بنفسها اللي قالت لي اشتيك لابني"

"طيب يا هاجرة.....الآن أنتي روحي بيتكم، لا تخافي ما باقول لحد، روحي و بعدين بأصيح لك"

اندفعت هاجرة تقبل يد نجمة، التي سحبتها بسرعة "استغفر الله، خلاص يا هاجرة روحي الآن"

أخذت نجمة نفساً عميقاً و فركت ما بين عينيها، ثم رفعت هاتفها و بدأت جولة أخرى من محاولات الاتصال في الذين لا يردون.

****

جَنَّ الليل.....

كانت نجمة قد ذكرت أنها نسيت أن تحضر غرضاً من البيت، فرفعت السماعة لترد عليها أخيراً الجارة أنيسة: "ووو فينك مختفية يا مشاطلة؟ ايش خايفة أكمل الحليب و السكر عليك؟"

أخفت نجمة استغرابها من رد أنيسة بعد أن كانت بأَمَسّ الحاجة إليها، ثم آثرت أن تعذرها هذه المرة، و قَصَّتْ عليها ما جرى مع حادث ابنها: "عشان كدا يا أنيسة لو بتنفعيني للبيت تجيبي لي بعض حاجات؟"

لترد الجارة: "لا أني باقول لك، أني باجي انتبه لك للجهال و أنتي روحي بيتك براحتك و ارجعي"

وافقت نجمة على مضض فلم يكن لها خيارٌ آخر، ثم انطلقت بعد انتظارها وصول أنيسة بعد أكثر من ساعة و نصف من الزمان.

لدى دخولها بيتها، رن رنين اتصال الفيديو بالإنترنت، فشهقت لأنها تعرف من المتصل و ردت من فورها: "زكريا! فينك يا زكريا ما ترد؟!"

"نجمة! أشتيك تعتمدي على نفسك الفترة هذه! بتقدري تعتمدي على نفسك؟!"

كان وجه زكريا يلهث و يبدو عليه الذعر الشديد، و يتلفت خلفه للباب الذي يسمع منه خبطٌ شديد مرتفع و صوت صراخ نسوةٍ في الخلف.

"مالك يا زكريا ايش في ايش استوى؟!"

"نجمة! هذا آخر اتصال اتصله لك، بس و الله و اللي رفع السما إننا لأرجع لك انتي و الجهال!"

"زكريا ايش آخر اتصال؟! ابنك ابنك سوى حادث و أني و هو بالمستشفى!"

"نجمة! ركزي معي! نجمة انتي واثقة مني و الا لا؟!"

"زكريا مالك ايش دي الهدرة؟"

"ردي عليا يا نجمة و قولي لي ما فيش معي وقت! انتي واثقة مني و الا لا؟! واثقة اننا بأرجع لك انتي و الجهال؟!"

"واثقة منك يا زكريا بس ايش في فلتت لي قلبي؟!"

"أشوفك على خير يا نجمة.....أدعي لي"

"زكريا! زكريا ايش في مالك؟!"

و ظلت تصرخ باسمه لا إرادياً و هي تعيد الاتصال به.....

و لكن لا رد.....

و لا فائدة.....

الفيلا المحجوزة - حسين طلال

4.ثالثاً

صباحٌ بارد....

مر أسبوعان منذ اتصال زوجها الأخير.....

لا يرد مهما حاولت أن تتصل، و ابنها لم يفق من غيبوبته، و لم يحضر أحد ممن تعرفه، سوى الجارة أنيسة فقط عندما تطلبها نجمة و يا ليتها تؤدي ما عليها، معظم الأحيان ترسل تلك المرأة السمينة السوداء المدعوة آمنة.

آمنة هذه لا تكثر من السؤال و الكلام، و هذا ما أراح نجمة إلى حدٍّ ما، تأتي بطلب من أنيسة بدلاً منها لمساعدة نجمة عندما تطلب منها ذلك.

تذكرت نجمة أنها وعدت شخصاً شيئاً، شيئاً تطلب منها ركعتين استخارة لله، و تفكيراً عميقاً طوال الليل، و حزمت أمرها متوكلة، و اتصلت بالمعنيين فحضرا من ساعتهم، و مَثَلَ أمامها توفيق و هاجرة في غرفة المستشفى.

"أني قررت، بس اوبكم أحد يدري، حسسسكم، أني بأروح عند أبو هاجرة بأهب له المليون و بأقنعه يفعل لكم حفلة صغيرة بدون قاعة بالسقف حق العمارة"

ظل الاثنان واقفان لا يستوعبان القول المفاجئ التي قالته نجمة لتوها.

"ايش ما تسمعوش؟" كررت نجمة نداءها لهم "مش السقف مصفى و مقشوط؟"

"ايوا" أجابا.

"خلاص، موافقين نعمل لكم حفلة بالسقف و تتخارجوا؟"

"يا ست نجمة أنا مشتيش أكلف عليك و خيرك سابق و الله، و هذه البنت تستاهل تكون كما باقي البنات و....." استهل توفيق محاولاً استيعاب و استيضاح كلام نجمة و أن الأمر يعنيه هو و يجب أن يوفي حق هاجرة.

لكن هاجرة قاطعته: "أني موافقة يا توفيق، خلي نمشي على ما تقول الست نجمة هي أدرى بمصلحتنا"

"ايش تشتي شغل مخارجة انتي؟!" التفت توفيق إليها.

"القصة مش مخارجة يا توفيق، أني رجعت أدخل البيت حقنا و أني خايفة و أخرج و أني خايفة و ارتبش بالهدرة، خلاص اشتي اهدأ و اعرف اطرح راسي بالليل ارقد" ردت هاجرة.

"المهم يا توفيق، إذا أنت بتشل هذه البنت و بتصونها و بتطرحها بعيونك، أني باوقف معاكم إن شاء الله مش بس بالزواج و بكل حاجة، بتقدر يا توفيق؟" تكلمت نجمة.

"....إن شاء الله يا ست نجمة، و ان شاء الله ربنا يقدرنا أرد جميلك، بس خلينا اليوم أشاور أمي أول و بكرة بأرد لك خبر" رضخ توفيق لعرض نجمة أخيراً.

و فعلاً.....

ذهبت نجمة إلى منزل والد هاجرة و كلمته في الأمر حتى اقتنع و اعطته المهر المليون الريال الذي طلبه....و كان ما أراد توفيق و هاجرة، و ما دبرته لهما نجمة....ارتفع صوت حفل الزفاف الصاخب الذي نافس الحفلات الملكية إلى السماء، و ارتج سقف العمارة بالأهازيج و الزغاريد من كثرة الحضور.

حضر الجميع.

الجيران و سكان العمارة و العمائر المجاورة و كل من له علاقة بالعريسين.....

إلا نجمة.

و أنى لها ذلك....

ثم أتت لها لاحقاً الجارة أنيسة: "ووو حجة، ايش على حفلة فاتنك"

"الله يبارك لهم و يتمم لهم على خير" ابتسمت نجمة.

"و نعم بيشتري باص و بيفك محل جنب بيت أمه و بيجَلِّس العروسة عندها"

"ما شاء الله، ربي يفتح عليهم و يسهل لهم"

"أني اللي مستغربة كيف له فجأة هذا التوفيق هو الا حارس عمارة جاب حق زواج و حق محل من فين له و هو كان منتف؟"

"يمكن ربنا رزقه، شوفي اللي يشتي الحلال ربك يبارك له"

"ملى و نحنا ايش؟ نمشي استغفر الله؟"

"احمدي ربك يا أنيسة عاللي انتي فيبه غيرك و الله ما حصل حق لقمة، زوجك مهتم بك و يحبك"

"داك الجني مالك منه، مكانه ما هلوش ما هلوش"

"مش يخرج يشقي عشانك و ما ينقص عليك حاجة؟"

"مو فايدة؟ إذا كان اجيتلك من شان اتسلف منك ما فيش معي حتى حق مواصلات لبكرة معيا مشاوير ضرورية، عادك تقولي لي احمدي ربك"

"....."

"ما سألتيني فين بتروحي"

"و الله ايش لي منك فين تدهجي.....الشنطة هناك شلي كم ما تحتاجي"

قامت أنيسة إلى حقيبة نجمة و تأملت محتوياتها قليلاً، ثم سألت: "ما فيش خبر من أبو عيالك؟"

"لا"

"شليت عشرين ألف، تمام؟"

قالت أنيسة و هي تغادر دون أن تلتفت، تاركةً نجمة التي علقت في تهكم: "و ليش عادك تستأذني؟"

مر المزيد من الأيام، إنه آخر الشهر، ظهر حينها أخيراً العم خالد في المستشفى زائراً المغمى عليه ابن أخيه عمران.

بعد أن قَبَّله و قَبَّل الصغيرة عدن و سلم على نجمة، جلس في الكرسي المقابل: "الحمد لله عالسلامة، سامحينا يا أم عمران على التقصير و الله ما كنت أدري"

"الله يسلمك، ما فيش ملامة راح الشر إن شاء الله"

"بيقوم بالسلامة ان شاء الله أعرفه ابن أخي سبيع"

"أقول لك يا خالد، ما يتصل بك زكريا؟"

"و الله عاده الآن كَلَّمَنَّا جارتك أنيسة قالت لي الموضوع، و الله أنا و زكريا ما نهدر كثير الا لما هو يتصل"

"مش هو أخوك الصغير مفروض تتصل به و تتفاقده؟"

"و الله الظروف و العيشة يا أم عمران تنسي الواحد نفسه"

"....."

"مالك؟"

"لا لا.....طيب أقول لك، ما تعرفش مسافرين و الا راجعين من أوروبا يشوفولنا ايش خبره؟ و الله قدني خلاص قلبي طلع لحنجرتي، و الجاهلة تشتي تكلم أبوها، أشتي عالأقل أعرف هو تمام و الا لا سمح الله فيبه حاجة"

"أنا بأشوف لك الموضوع يا أم عمران و لا يهمك ان شاء الله خير"

"إن شاء الله.....عدن.....شلي من الشنطة الربطة البيس و اعطيها لعمو"

لم تركض عدن كما اعتادت، بل مشت ببطء دونما أي طاقة و فعلت ما أمرتها أمها و مدت إيجار البيت لعمها، الذي دس المال في جيبه و أسرع بالمغادرة "باتصل بك يا أم عمران و لا تهمي و لا تتشجني" و اغلق الباب خلفه.

****

انتهى الشهر.

و جاء آخر بعده.

لم يتصل زوجها زكريا و لا يرد.

و لا خبر عنه من المسافرين الذين يرسل أرقامهم لنجمة العم خالد.

و لم يفق ابنها عمران من غيبوبته.

و ما زالت نجمة تنفق مما بقي لديها من مال على علاجات ابنها و مصاريفها و ابنتها الشخصية.....

رأت نجمة أنها لابد أن تفعل شيئاً بعدما بدأت تأخذ حاجيات البقالة بالدَين، و نظرت إلى ما بقي لديها من مال، إنها مليون يال، و إن بدى المبلغ كبيراً لكنه كبيرٌ منقطع مصيره أن ينتهي يوماً، فحسبت أن ما بقي لديها يكفيها ثلاثة أشهر مع دفع الإيجار و مصاريف علاجات ابنها، دون حساب رسوم مدرسة ابنتها.

و كان عليها أن تتخذ قراراً يبدو صعباً بعدما رأت ابنتها ترفضه تماماً و لكنها أقنعتها على أية حال.

بعد أن نقلت ملف ابنتها من مدرستها الخصوصية إلى مدرسةٍ حكومية كي توفر في المصروف، كادت تتراجع و تقطع قلبها و هي ترى المكان الذي أرسلت ابنتها إليه.

ثم حزمت أمرها و قررت أنها لن تترك ابنتها تعاني كذلك.

"شكلي أني كمان لازم اتحرك و أدور شغل"

ثم شجعت نفسها و حاولت رفع معنوياتها: "و بعدين الله ما ينسى عبده اللي ما ينسى غيره، صح يا ماما جليلة؟"

5.التشفير

التواهي.....

يقال أنها تعني ضواحي، حتى الاسم يحمل في طياته معاني التضحية التي لم يطلبها أحد و تذهب هباءً، و يقال أنها تعني الطريق المزدوج، كالطريق الذي لا تريد نجمة أن تسلكه.

صباحٌ ساخن هذه المرة.

كان على نجمة أن تنتظر الجارة أنيسة نصف ساعة فوق الساعة التي تعرف أنها تتأخرها عادةً تحت شمس التاسعة صباحاً اللافحة، و العرق يسكب داخل ثيابها سكباً كأنه نافورة ما أجبرها أن تشتري شرابًا تخفف به على نفسها، لتأتي تلك و تنفذ استراتيجية "خدوهم بالصوت"

"اوبك تقولي حاجة، لك سنين تعرفيني مفروض قدك دارية إني ما أقوم صباح"

صغرت عيون نجمة: (ما شاء الله، شفناها اللي تقنبر للشاهي من الصباح) ثم تنحنحت: "معليش يا أنيسة اخدميني هذه الخدمة، إنتي اللي تعرفي هذه المديرة عشان تعرفيها عليا و تدخليني عندها"

"و انتِ ايش صنف لك تدوري شغل؟ كدا بطرة؟"

"....."

"تسويلي سيدة أعمال زي آمنة"

"مين آمنة؟"

"آمنة يا شيخة المرا السوداء اللي تجي تنفعك أحياناً"

"آو آو آو نسيتها و الله، ليش هي فين تشتغل؟"

"تعالي برويك"

ثم مشتا إلى طرف الشارع لتري أنيسة نجمة كشكاً صغيراً فيه بعض الخردوات خلف طاولته المرأة المدعوة آمنة.

"شوفيها مش سودا، سودت مع الشمس اللي تصفخها رجعت وجهها كما المجنة كل يوم من الصباح" ضحكت أنيسة.

لكن نجمة لم تضحك، و لم تسمع ضحكة أنيسة، إنما غرقت في زوبعة أفكار و بحر من التأمل، فاتها إدراك أن هذه المرأة تعمل يومياً لتعيل نفسها، ليس لها زوج و لا أقارب و تعيش بمفردها، لكن لم يخطر ببالها من أين لها ما تأكل.

"يلا الله لا حملني من فين لها تجيب حق إيجار بيتها" اختتمت أنيسة ضحكتها بهذا التعليق.

"ليش هي جالسة بيت إيجار؟" سألتها نجمة.

"اييييي فينك انتي، جالسة بإيجار بيتها شوفيه ملى ما بو شي، بس مش معقول تسلم إيجار من شغل الكشك، يلا ايش عليا"

"خليك من هذه الهدرة يا أنيسة و خلي لليدة حالها"

"واصل واصل قدك كدا حياتك ضبح في ضبح، المهم، بغرتيبي أمشي أوديك عند المديرة، و اجدلي بقصعة الشراب اللي بيدك"

"لا"

"اجدلي بس خارجيني"

"أقول لك لا"

"الله الله يا سيدة البيئة"

"النظافة من الإيمان يا أنيسة، و مش تحضر و عيب بحقي إني من بنات عدن أوسخ شوارعها"

"يعني أجت النظافة الا لعندك بتتوسخ عدن....يلا يلا"

و خلال الرحلة من المعلا إلى التواهي، استشعرت نجمة فضيلة الصبر و كفارة الذنوب و هي تتحمل نقيق و ثرثرة أنيسة طول الطريق.

****

المبنى يبدو فخماً من الخارج.

لكن الداخل كان أشبه بزريبة البقر، أو كما تخيلت نجمة بسبب الأثاث القديم و الغبار المحيط و الصراصير الطائرة التي تخرج منتشيةً من الحمامات عديمة الأبواب، حتى لم تدرك نجمة الطريق التي مشته حتى وصلت مكتب تلك المديرة التي صوت المكيف من خلفها أشبه بصوت محرك نفاث، يسد هواءه ظهر المديرة العريضة المنكبين، و التي سألتهما: "نعم؟ أي خدمة؟"

انبرت أنيسة: "أني اللي اتصلتبك أمس مشان الأستاذة تشتي شغل عندكم"

"مين؟" سألت المديرة.

"أني أنيسة بنت وهاج يا استاذة مالك نسيتيني اتقابلنا بالعرس حق أختها مرت ابن عمة أبي عنان"

"ها ها ايوا ايوا، تمام تمام، خليها تطرح الملف حقها عند الحسابات و بعدين بنتصل بها"

و بعد خروج نجمة و أنيسة من باب تلك الشركة الكئيبة سألتها: "ايش على واسطة يا أنيسة، بأروح من نفسي كنت، تقوليلي المديرة صاحبتك، الحرمة و لا دارية من أنتي"

أصدرت أنيسة صوتاً لم تعرف نجمة ماهيته و هي تجيبها: "ما عليك قالت خلاص بتتصلبك، عليا لو ما حصلتي هذا الشغل، بس أشتي أول مشاهرة لي ها حق دلالتي"

(هيا جدتي) تمتمت نجمة في نفسها في ضجر.

"المهم، بتروحي معي هيا؟"

"فين بتروحي؟"

"بأروح ارقد فيبي نوم عادني و انتي قيمتيني من صباح الله"

"لا لا، روحي انتي بالسلامة، أني عادني بأدور"

"فيبك طافة انتي"

ثم تركت أنيسة نجمة، التي أكملت مشوار البحث عن وظيفة بين عدة مرافق و أماكن قبل أن تعود إلى المكان الذي انطلقت منه أول مرة، هناك، رأت المدعوة آمنة في كشكها تجلس في سكون، فاقتربت منها نجمة و حادثتها بود: "السلام عليكم و رحمة الله"

"و عليكم السلام" أجابت آمنة ببرود.

"كيف حالك يا آمنة؟ نسيت ما أشكرك و أتأسف لك بنفس الوقت على العداب اللي عدبنك أنيسة لما تتنفعبك عشاني"

"مش مشكلة"

"اسمعي معيا لك عرض، أني احتمال فترة النهار ما أكونش لا بالبيت و لا بالمستشفى مع ابني، و اشتي أحد اوكن عله يوبه لابني عمران بزما بنتي بالمدرسة و أني برع، اعتبريها وظيفة بأهب لك حق مشقايتك"

"....."

"و ما أقصدش و الله حاجة بس أني ارتحتلك و أحس إنك ثقة و بأكون مطمنة على ابني"

"تمام"

"ما شاء الله" ضحكت نجمة في رقة جراء سرعة رد آمنة "حتى ما سألتيني كم حق مشقايتك"

"مش مشكلة ما بنختلف"

"جزاكي الله خير، و أني ما بأظلمك، و ما يمنعش يوم نشرب شاهي و الا سكريم و الا ناكل بطاط عند ايسكريم شمسان اللي بالنزلة حق مسجد السنة"

"واصل"

ثم بعد أن سلمت عليها، رفعت نجمة هاتفها و اتصلت بحميها خالد، و الذي رد بعد عناء: "مالك يا مرت أخي؟"

"اتصلتبك أقول لك ما فيش خبر من أي مسافر عن زكريا؟"

ثم إنها سمعته و هو يتمتم "استغفر الله بس" ضجراً و لكنها تجاهلته قبل أن يجيبها: "و الله ما فيش أي خبر من اللي اتصلبهم يا مرت أخي"

"الله يرضى عليك يا خالد حاول تتواصل مع أي أحد يجيب لنا أي خبر عنه حتى من سفارة أو قنصلية و الا أي مكان"

".....طيب طيب، باشوف اليوم ايش في و بأرد لك خبر"

"رد عليا اليوم يا خالد الله يرضى عليك مشان اطمن"

"طيب ان شاء الله خير باشوف الليلة لو جزعت لكم"

و أغلق السماعة دون أن يسلم حتى، قررت أن لا تتضجر نجمة من هذا و عادت بسرعة إلى المدرسة كي تحضر ابنتها ثم ترجع إلى المستشفى.

****

في تلك الليلة، سألت البنت الصغيرة عدن أمها: "ماما، متى بيصحي عمران؟ كله راقد راقد راقد"

"عمران يا بنتي عشان فيبه عور، ان شاء الله لما بيتباخر بيقوم، انتي قولي يا رب يا رب اشفي أخي.....هيا قولي"

"يااااارب اشفي أخي"

"يا رب قيم أخي بالسلامة"

"يااااارب قيم أخي بالسلامة"

ثم قاطعهما طرقٌ عنيف على الباب.....

"من؟"

"أنا أنا"

بادرت نجمة الحجاب لمعرفتها صوت خالد الخشن ثم فتحت له الباب قبل أن يدلف بخطوات سريعة للداخل.

"رحت اتعدبت لما البيت ادقدق محد في"

"قدك تدري أني بالمستشفى بتتصل قبل من أول كنت"

"ما يعجبناش لا اتصل و لا أحد يتصل بي"

"....."

"حَصَّلْت واحد مسافر راجع من أوروبا جاب لنا خبر حق زوجك الجني دا"

"خير إن شاء الله! الله يبشرك بالخير!"

"ايش من خير دا زوجك قده من يومه مصيبة و دحين دَخَّل نفسه بمصيبة و بيدخل نحنا معه بمصايب فوق ريوسنا فوق المصايب اللي نحنا فيبه"

سرت حرقة و حمية في جسد نجمة و هي تلمح الشرر الذي يأتي من كلام و نظرات الرجل الذي يفترض بأنه الأخ الأكبر لزوجها: "مالك مالك يا خالد ايش في ايش سوى بك زوجي؟ على اساس انكم أخوان و هو ما يسخي بك"

"و الله لو سخى فيبي عاده أهون، زوجك دا نعم امتسك هناك مسكنه الشرطة حق أوروبا و ودنه الحبس"

"ايش مسكنه؟! ايش قالوا؟!" صدحت بصوتها في خوف و فزع و قلق.

"زوجك ممسوك عله تهمة مخدرات و دعارة، شوفي على فعايل يفعل"

"ايش؟!!!!"

6.التوصيل

"قول خير يا خالد! مالك تقول على أخوك كدا؟!"

صَعُبَ على نجمة تَفَهُّم لِمَ قد يقول أخٌ عن أخيه هذا الكلام، فظلت تحاول التأكد من أنها سمعت حقاً ما سمعته، و لكنه أصر: "ايش بكدب؟!"

"ياخي مش على انك كداب، بس و لا أخوك واحد بطال، قل لي كيف يخرج منك دا الكلام؟!"

"أخي طول عمره جني و فحاس و دوخة و مسوي نفسه الفهلوي ميييين و نحنا جهال، يعني عالخبر اللي سمعته الا يمكن يسويها"

"لا حول و لا قوة إلا بالله"

"و عادك تكدبينا هاه؟! هيا بتشوفي أنتِ و زوجك دا اللي ما شفنا منه خير"

"ما شفت منه خير؟"

الجوهرة المحمودة - حسن طلال

"أنا باحترمك هذه المرة لأننا بمستشفى و ابنك مريض، بس بتشوفي منه مننا اللي كلامه صدق.....يلا"

و قام و خرج العم خالد، ثم بعدها بربع ساعة تدخل أنيسة بدلاً منه و وجهها لا يبشر بخير: "ايش دا يا نجمة اللي سمعته؟!"

"نقصي صوتك....ايش سمعتي؟"

"دحين أخو زوجك خرج كلمني على زوجك، ايش من صدق؟"

"و انتي هبلة تصدقي؟! مالك؟!"

"الموضوع شكله كبيييير يا نجمة و يا غافل لك الله" ضحكت أنيسة.

"....."

"مالك؟ اصافطك اصافطك"

"دحين ايش جابك دي الساعة"

".....بلاقي عندك عشرة ألف؟"

"و الله ما معي بالشنطة إلا ألف و احتاجها مواصلات لبكرة"

"معقول ما فيش معك؟ شوفي هنا و الا هنا، بيت الأسد ما يخلى من العظم"

"أقول و الله ما معي روحي شوفي شنطتي، بالله بأبخل عليك يا أنيسة؟"

"مدري مالك اتغيرتي علينا، يلا.....الله لا هان عزيز"

و خرجت هي الأخرى مغاضبة لسبب لم تفهمه نجمة.

التفتت الصغيرة عدن إلى أمها: "يعني بابا ودنه السجن؟ ليش قتل حرامي؟"

"لا لا يا عدن يا حبيبتي.....هم هناك معاهم بلاد اسمها حبس و أبوك سافر هناك، زيما نحنا معانا مكان اسمه الشيخ عثمان، مو من صدق في رجال مستقيم اسمه الشيخ عثمان؟ هو كدا بس كدا مكان اسمه حبس"

و دغدغت الأم ابنتها و أضحكتها حتى أنستها الموضوع...

لكن أنى لها هي أن تنسى.....

****

خورمكسر.....

يرمز الاسم إلى حقبة اشتعلت فيها نيران الغيرة فأتت و التهمت هذا الخور و جعلته مُكَسَّر...

نيران ليست بأقل حرارة من شمس ظهيرة محافظة عدن تسخن القلوب قبل العقول، و بينما نجمة على وشك الانتهاء من جولة أخرى من البحث عن عمل في متاجر شابات خورمكسر و ما جاورها، و بعد أسبوع من تلك الموقعة مع العم خالد، إذ بجوالها يرن اتصالاً من المدرسة التي تدرس بها ابنتها يطلب منها أن تحضر فوراً.

و ما ان اقتربت من باب إدارة المدرسة حتى فاجأتها ابنتها تجري إليها و تحتضنها و هي تبكي بحرقة و أصوات التلاميذ الصغار من وراءها يهتفون: "سارق! سارق! سارق! سارق!"

ثم صُعِقَت عندما رأت كدمةً في وجه ابنتها زرقاء مستديرة و متورمة، فاندفعت إلى مكتب المديرة: "ايش هذا يا مديرة؟! منه فعل بعدن كدا؟!"

فردت عليها المديرة بصوتٍ هادئ: "هدي نفسك يا أم عدن، بنتك اللي بدأت"

"كيف كيف؟! ايش بدأت؟! شوفي البنت كيف وجهها وارم؟!"

"بنتك يا استاذة شدت لوحدة جاهلة شعرها لما بكتها كدا بطرة"

"بنتي ما تفعل حاجة كدا بطرة، في سبب!"

"ما سوت لها حاجة البنت و بنتك هي اللي بدأت، بنتك كان مفروض تتأدب قبل ما تجي المدرسة"

"اسمعيني يا ست!"

"لا ترفعي صوتك!"

"إلا بأرفع صوتي مادام بنتي هكذا تفعلوا بها، اشتي أم البنت هذه يا تجي يا أني اللي أروح لها!"

و بعد أن بدأت تخشى المديرة من المشاكل التي قد تأتي من صياح امرأة متزايد في المدرسة، أعطتها عنوان والدة البنت التي ضربت ابنتها، و فاجأها أنها كانت إحدى جاراتها، جاراتها التي كنَّ يزرنها كل جمعة لقضاء سهرة ممتعة.

و بينما تضمد لابنتها كدمتها في ذات المستشفى التي أضحت بيتهم الثاني، سألتها: "ليش ضربتي البنت يا عدن؟"

فردت عدن و هي تشهق و تبكي: "هي جلست تقول لي ابوك سارق ابوك سارق و خلت كل البنات يعايبولي"

"أني برويلها لا تخافي يا عدن بأروح بأصيح فوقها"

و فعلًا لاحقًا أتت نجمة بيت المعنية بالأمر و دقت الباب.

"السلام عليكم يا أختي، أني أم عدن، اللي تدرس مع بنتك بالصف، أني بس آسفة لو بنتي آذت بنتك بس بنتك اللي بدأت، و دونا جهال ما نشتيهم يتضاربوا نشتيهم يلعبوا مع بعض و يتصالحوا، لو تصيحي لبنتك نخليهم يتسامحوا"

"بنتك ضربت بنتي بلا سبب"

"لا يا اختي الله يصلحك، بنتي ما تضارب، لابد إن في حاجة استفزتها و الا بنتي ما تضارب و لا تكدب"

"يعني نحنا اللي كدابين؟"

"لا الله المستعان يا أختي ما قلت كدا"

"بنتك عورت بنتي، و بنتي ردت حقها، خلاص سوى سوى ايش عادك تشتي؟"

حاولت نجمة أن تتمالك أعصابها، فأخذت نفساً لتهدئ نفسها، الأمر الذي أثار حفيظة المرأة التي أمامها.

"ضربني و بكى سبقني و اشتكى، تحسبي إنك بالعزايم حقك كل جمعة بتتبطري علينا و ينضربوا جهالنا؟ لا حبيبتي ما عاش اللي يمد يده على جهالنا"

"أقول لك بنتك اللي جلست تقول على ابو بنتي إنه سارق، عيب دا الكلام"

"يا شيخة روحي نعم فاضية لك"

و صفعت الباب في وجه نجمة، التي ظلت متسمرةً مندهشة من تصرف المرأة معها "حسبي الله و نعم الوكيل" اكتفت نجمة بهذه الكلمة، و قاومت دموعها و هي في طريقها عائدة إلى المستشفى، تحاسب جليسة ابنها الجديدة آمنة حسابها لليوم و تجلس تفرك ما بين عينيها بعد مغادرة آمنة.

ثم رفعت السماعة و اتصلت بأنيسة: "أنيسة، أحلفك بالختمة، انتي رحتي تقولي للحريم على موضوع زوجي؟"

"ما قلت حاجة و الله!"

"لا تحلفي يا أنيسة استغفري ربك، محد يدري الا انتي و خالد، و خالد ما بيروح يهادر حريم"

"أصلا هدرة عادية ما فيهاش حاجة"

"ايش من هدرة عادية؟! مالك يا أنيسة تتهابلي! مواضيع اسرار بيوت تروحي تخرجيها للناس!"

"أني ما هدرت، أني بس فلتت من لساني كلمة قدام وحدة مرا عجوز و هي اللي قالت ايوا تعرف زكريا من هو صغير قده سارق"

"متى؟"

"مرة كدا كنا نشرب شاهي عند مرا عاقلة نحنا و الحريم الجيران"

"قدام الحريم الجيران؟!"

"دحين مالك تصايحي؟"

"فلتة لسانك يا أنيسة خلت بنتي تتعور و يورم وجهها حرام عليك.....أنيسة.....ألو.....أنيسة؟!"

نظرت لشاشة هاتفها لترى أن المكالمة انتهت، ثم تبع ذلك رسالة من أنيسة تعتذر أن الخط فصل بسبب سوء الشبكة.

صممت نجمة أن تذهب في الغد و من الصباح الباكر لرؤية تلك المرأة العجوز التي تكلمت في الأمر، و هو ما حدث، و بعد أن استأذنت و جلست بين يدي المرأة العجوز، التي تبين أنها إحدى الجارات التي تحضر سهرات الجمعة في بيت نجمة سابقاً، صمتت نجمة و أخفت تفاجؤها من رؤية آمنة تجلس هناك كذلك، فدخلت نجمة في الموضوع و سألت: "أجيت أسألك يا خالة، تعرفي زوجي زكريا العدني؟"

"اووووه اكيد داكرة له، كان زنننننقل و أخوه التاني داك مدري مسمه"

"خالد"

"ايوا ايوا كانوا زناااقل، كانوا كلما ساع كسرولي زجاج التاقة، و الا نكبولي بالمداعة، و الا شلو عليا الشلنات و راحوا يشتروبها لَوَك"

"بس يا خالة هذا و هم جهال صح؟"

"دحين عادهم كملوا المدرسة"

أدركت نجمة أن هذه المرأة فاتها الكثير نظراً لكبر سنها، و لكن الأذى قد وقع و علمت أنه قد فات الأوان، بنظرات النساء الأخريات تجاهها عرفت أن زوجها صار حديث الساعة على لسانهن جميعاً.

و كله بسبب فلتة لسان من أنيسة، أم أنها لم تكن مجرد فلتة لسان؟ و ما الذي تفعله آمنة عند تلك العجوز؟ فكرت نجمة كثيراً، لم تجد مفسراً لما يحدث.

و لدى عودتها للمستشفى حيث يرقد ابنها في الثانية ظهراً، وجدت انذاراً من المستشفى يأمرها بإخلاء الغرفة لعدم دفع أجرتها.

7.سلسلة الذكريات

الشيخ عثمان.....

على ما يبدو أنه مكان تنزل فيه بركات الأولياء و الصالحين كما يقول من ليس له نصيب من الدنيا و الآخرة...

ليس بركات الأولياء ما جاءت نجمة لأجله، عبر واسطة استطاعت تدبيرها، تمكنت نجمة من إيجاد سيارة اسعاف بكامل تجهيزاتها تُمَكّنها من نقل ابنها من المستشفى الخاص المكلف الغالي الثمن إلى مستشفىً في الشيخ عثمان أرخص و أوفر إن لم يكن مجانياً...

ليس ثمة شيء مجاني في الحياة.

و لا حتى في الموت.

و لكن على الأقل سيكون هناك سقف فوق رأس ابنها و هو في غيبوبته، و لو لم يكن في غيبوبته لأخذته إلى المنزل لولا الأجهزة.

(استغفر الله، لا يا رب سامحني، الحمد لله على كل حال، يا رب كله منك مقبول)

بهذه الكلمات في قلبها راقبت نجمة العمال الصحيين و هم يضعون ولدها في ذلك السرير الرث في ذلك المستشفى المتهالك، هي ذات الوجوه التي كانت تراها في ذلك المستشفى الخاص و إنما الآن صارت ملابسهم أكثر بؤساً.

الوضع صار كارثياً، أيقنت نجمة وجوب أن تجد عملاً و تجده حالاً، لكن كيف؟

أطرقت تفكر بأربعة عقول في نفس الوقت.

أين هو زكريا؟

متى يستيقظ ابنها؟

كيف لمن كانت تحسن إليهم أن يعاملوها هكذا؟

متى ينتهي كل هذا؟

"العبرة بالنهاية، الصبر ثم الصبر"

أيقظت كلمات آمنة، التي جاءت مع نجمة و ساعدتها في انتقال ابنها، أيقظت احساساً كان في داخلها....

"جزاكي الله خير يا آمنة و الله من غيرك بعد الله مدري ايش كنت بأسوي" توجهت نجمة بالامتنان إليها.

"العفو" ردت آمنة بكل برود و هي تجلس بجانب نجمة.

"لا تخافي ما بأنقصك اللي أهب لك حق تعبك"

"عادي"

"سامحيني لو قصرت بحقك"

"قولي لي كيف قابلتي زوجك؟"

"هاه؟"

الغرفة المحجوبة - حنين طلال

فُصِلَ عقل نجمة لثانية من سؤال آمنة المفاجئ، لتكرر عليها السؤال: "كيف قابلتي زوجك؟"

"يعني كيف يعني؟"

"حكيلي كيف اتعرفتي عليه و كيف تزوجتوا"

"ايش معنى يعني؟"

"قولي و الا بأروح"

"لا لا خلاص بأحكيلك"

زفرت نجمة و كأنها تعيد ضبط اعدادات دماغها كي تستطيع أن تتكلم مع آمنة فيما أرادت السؤال عنه: "أني.....زيما تقولي كدا.....ما فيش معي أهل.....أني ترباية ميتم.....لا عمري عرفت أهلي و لا أحد من اللي يقعولي.....و من الله إن أم الميتم اللي ربت نحنا خلت نحنا نجلس حتى بعدما كبرنا و دَخَّلَت بعض مننا كلية و بعض من البنات زوجنهم.....قابلت زكريا بالكلية.....كنت بالبداية أهرب منه لأنه فوضوي و صياحي.....بس في مرة هدرت معه.....عرفت إنه ما معه بالدنيا إلا أخ واحد و أبوه و أمه ماتوا و هو جاهل"

"قال لك ما معه الا أخ واحد؟" سألت آمنة.

"هو كدا قال"

"ها...." ابتسمت آمنة، و للمرة الأولى ترى نجمة ابتسامةً مخيفة و حقيقية في نفس الوقت.

"ليش تسألي؟"

"ما فيش سبب.....كملي.....و بعدين؟"

"بعدين لما عرفت إنه ما معه بالدنيا إلا أخ واحد و أبوه و أمه ميتين، حسيت كأنه كدا في رابط مشترك بيننا، و هو حتى زي اللي ارتاح لي و بطل يمشي مع

العيال، حتى لما ضحكوا عله و عايبوله انه يهدر مع وحدة بنت، ما اهتم بهم و جلس معي.....عرف بعدين إني أموت على حاجة اسمها أفلام أمريكي، و الصدفة إنه طلع هو كمان يموت بالأفلام الأمريكي، كان كلما ساع أجا و جاب لي فلم.....لما أجا اليوم اللي قال متى بنتفرج فلم سوى، و أدري به الا أجا يطلبني من ماما جليلة، ماما جليلة هي الأم حقنا حق الميتم، هي اللي شجعني و قالت لي ايوا وافقي"

"و من فين له كان حق زواج؟"

"هو كان معاهم بيت حق أبوهم قديم جالسين به، و اكتشفت بعدين إنه كان يشتغل شغلين جنب الدراسة و يهكب البيس، بعدين حَصَّل مكافأة من واحد تاجر قَدَّم له خدمة زكريا، زَيَّد فوق اللي عنده و اشترى البيت التاني اللي نحنا فيبه الآن، و بعدين أجا يتقدم لي"

"أني سمعت من الحافة إنه دا البيت حق أخوه"

"هو سجله باسم أخوه، أخوه خالد، الله يهديه بس، على قولت زكريا نعم اتكالي و يشتي كل حاجة بالجاهز و ما يشتيش يشتغل و لا يتحرك، و طول عمره هو هكذا، بس زكريا ايش بيموت على أخوه يحبه و لا يسخي به، ما يسخي به لدرجة انه سجل له بيتنا باسمه، قال مشتيش أخي يمد يده لأحد حتى لي"

"و انتي ايش رأيك؟"

"أني من كتر ما هذا الرجال مريحني و محسسني بالأمان و السعادة ما عاد ناقشته بالخطوة هذه، و زاد بعدما حصل السفرة لأوروبا و ربنا فتح عليه و سافر و هو صعبان عله يترك نحنا، حسيت بإن هذا الرجال يستاهل أوقف معاه بكل حاجة"

"حتى لو الخبابير اللي تسمعيها عنه؟"

".....أني بأقول إن بعض الظن إثم، صح إني مدريش هو إيش كان زكريا زمان، أني يهمني هو ايش الآن"

قاطع كلامها الدخول الزاخم لأنيسة، لم يكن لذلك العنبر في المستشفى باب، و إلا لطرقته أنيسة حتى توقظ من حولها كما اعتادت دائماً.

"ما شاء الله ما شاء الله، من متى المحبة؟!" نظرت باستهزاء إلى آمنة.

"و الله زحفت و أني اتصل بك عشان توقفي معي، و أني أدري بك لما تتأخري، لو ما كان اتصلت بآمنة فاتني أني و بنتي و ابني مرضوحين بالرصدة" ردت نجمة بحزم.

"هاااا.....هذا جزاتي إني سيبت الستة و الستين مشان أجي استقيم معك انتي و ابنك.....جزات المعروف.....يلا.....اللي ما رضابوش مظفر....." استرسلت أنيسة في استهزاءها.

"ويه ويه يا أنيسة مالك ايش هذه الألفاظ عيب مهما كان، و بعدين ناسية نفسك إنك بمستشفى؟! نقصي صوتك"

"يعني ايش؟ من الأخير تشتيني أروح بأروح"

"لا حول ولا قوة الا بالله"

"أول اتهمتيني إني أجدل هدرة على زوجك، و بعدين اتغيرتي عليا، و تجدلي بيسك عند اللي يسوى و اللي ما يسوى"

عندها استأذنت آمنة بالرحيل "العفو منك يا نجمة، بآجيلك بالليل على اتفاقنا"

"سامحيني يا آمنة، امسحيها فيبي" اعتذرت نجمة.

"عادي عادي"

و بعد أن رحلت آمنة، زفرت أنيسة كمن ارتاح لرحيلها، الأمر الذي ضايق نجمة.

"ايش معك و مع الحرمة؟! ايش سونبك؟!"

"و الله حبيبتي انتي اللي ما تفهميش، ما تعرفيش منه عدوك منه اللي معك"

"استغفر الله العظيم"

"تستغفري بوجهي ما شاء الله وجهك بيتقطع من الايمان و انتي وجهك زي جنية العقبة، يلا أحسن، فكة، بأرجع اشوف لي زوجي أني ايش جابني"

"كان ممكن يا أنيسة تقولي آسفة ما أقدرش و أني بأعذرك، أما كدا ما يقعش"

"خلي الخادمة ديك تنفعك.....مع السلامة"

****

بهذه الكلمات، يبدأ روتين جديد من الحياة اليومية لنجمة.....

تستيقظ صباحاً و توصل ابنتها إلى مدرستها....

تذهب بين الدوائر و المكاتب و المؤسسات و الشركات بحثاً عن عملٍ محترم كما تسميه هي....

تعود في الظهيرة و تضع ابنتها في عهدة آمنة في كشكها الخاص.....

تذهب عصراً للبحث عن عمل أقل احتراماً كما تسميه هي، إن كان أحداً يريد عاملة أو أيًا كان في المحلات...

ربما استعملها أحدهم و سمح لها بالعمل لقاء ريالات متواضعة، و الأغلب لا يسمحون لها بعد أن يعرفون أنها نجمة، زوجة عربيد المخدرات السارق كما تطورت الشائعات الآن.....

هي تملك المال في الوقت الحالي، لكن سيأتي وقتٌ و سينتهي، مثله مثل أي شيء في الدنيا، هذا ما يدفعها إلى تحمل ما عليها تحمله، و لا تريد المخاطرة باستثماره في أي تجارة خشية أن تفلس تماماً.....

ثم تعود مساءً و تعطي آمنة مبلغاً لقاء مكوثها مع ابنها في المستشفى، و تعود مع ابنتها إلى شقتها.....

مر شهر.....

ثم قريبًا من نهاية الشهر، يأتيها أخو زوجها خالد يطالبها بالإيجار.....

هذه المرة.....

لم تملك نجمة المبلغ الكافي، الأمر الذي قَلَب صورة خالد و مزاجه و طريقة كلامه بُعد التواهي عن المهرة.....

"ما يقعش كدا يا أم عدن! قدك تدري بظروفنا لتحت تحت!"

"و الله يا خالد ايش عاد أقول لك، و الله إني أدور بالشموس لما استلخ و بالعصر لما أدرامي يتناصلوا عشان أطلع مصروف، و ابني بالمستشفى كم صرفت عليه"

"أنتي كمان يا أم عدن ليش الصرفيات هذه كلها؟! بتوديه المستشفى الحكومي من أول، بتحاسبي على البيسة مش تلعبي بها"

"....."

"الآن و لا معك حاجة؟ ولا ولا؟"

"معيا نص المبلغ"

"جيبي و الشهر الواجي كملي الباقي"

"إن شاء الله"

ثم بعد رحيله، انتبهت نجمة إلى أن الوقت قد تأخر و عليها النوم باكراً لتستيقظ باكراً مع ابنتها....

استلقت بجانب ابنتها التي استسلمت للنوم سريعاً....

لكن نجمة لم تنم...

8.نزول أحلام اليقظة

نظراً لحالة التشتت و التخبط التي تعيشها نجمة في وقتها الحالي، اضطرت آسفة و مرغمة على إخراج ابنتها من المدرسة، ليس فقط توفيراً للمصاريف، بل لأن المدرسة أضحت جحيماً لا يطاق بالنسبة لها.

خشيت نجمة على ابنتها أن تصاب بأذى نفسي أو جسدي لا يمكن الشفاء منه، لذا إن كان لابد من التضحية بسنة أو سنتين من الدراسة في سبيل سلامة ابنتها فليكن.

أما اليوم، فكان لها لقاء مع مسافرين عائدين من أوروبا سبق لها الاستعانة بهم لمعرفة أخبار زوجها، و الخبر الذي عادوا به كان: "سألنا و عرفنا إنه مسجون بأكبر سجن بأوروبا حق المساجين اللي مالهم وكنة، لاقوا نعم بالسكن حقه حرمة مقتولة، نعم اتعاونوا هو و تنتين حريم عليها، دقوا إبر مخدرات و سكروا و قتلوها و سرقوا فلوسها، و العسكر حق أوروبا قد لهم زمن يدوروله يشتنه"

تمنت نجمة لو أن صاعقة نزلت من السماء و أحالتها إلى فحاتيت، أو فحستها شاحنة تحت إطاراتها، أو شربت سم الفئران، قبل أن تسمع هذا الكلام، و شاب رأسها عندما عرفت أن هؤلاء المسافرين سبق و نقلوا الخبر إلى خالد، أي فات الأوان على طلبها لهم بكتمان الأمر.

و سمعت منهم كذلك عن مكتبٍ تعاوني يختص بشؤون ذلك البلد الأوروبي، فوقع في نفسها زيارته على الفور، علها تجد جواباً أو أي شيء يشفي قلبها، لم ترَ حلّاً سوى هذا، و لكن هذا المكتب يبعد مسافة ليست بالقليلة في مديرية تدعى دار سعد، و هي لا تملك إلا بالكاد ما يسد رمقهم في الوقت الحالي، لذا جعلت هدفها في الوقت الراهن هو جمع المال الكافي الذي يتيح لها الذهاب لزيارة ذلك المكتب و العودة.

و لكن أولاً.....

****

"صَفِّي كما الناس! تقولي مش والفة مِهْرَة!"

لم تَرُدْ نجمة على السيدة التي تصرخ عليها فوق رأسها و توبخها على أنها لا تجيد أعمال التنظيف، نجمة التي لا تُحْضِر خادمة إلا مرة في الأسبوع و تقوم بكل أعمال المنزل بنفسها، تنتقدها هذه السيدة بأمرٍ تجيده من صغرها.

فمذ فتحت لها الباب و سماحها لها بالعمل في تنظيف و ترتيب و تصفية صالون الكوافير خاصتها، و منذ اعتذار نجمة عن إجابة أسئلة هذه السيدة عن أين ذهب مالها و أين زوجها، و هي تستشيط غضباً عليها بوتيرة سريعة عدة مرات في الدقيقة.

"احمدي ربك إني شغلتك و الا كل حريم الحافة يعرفوا منو زوجك ايش فعل"

مرةً أخرى تصمت نجمة و لا تَرُد عليها، و عندما استكملت عملها عند أذان المغرب، بادرت نجمة حجابها استعداداً للذهاب لتستوقفها السيدة: "على فين يا حجة؟"

"ايش فين؟ المغرب أَذَّن صح؟" ردت نجمة.

"أدري إنه أَذَّن مش صنجة، تشتي تروحي و عادك ما كملتي شغل؟"

"اتفقنا أني و انتي يا اختي إنه لما المغرب، و أني ما أشتي أغلس على عيالي"

"هيا جدتي ما تشتوش تشتغلوا، بنات دي اليومتين"

"ممكن تحاسبيني يا أختي عشان أروح؟"

مدت لها السيدة المبلغ، و عَدَّتْها نجمة: "ناقصة ألفين يا أختي"

"عادي عادي مشيها انتي هذه المرة حق المعرفة و المجورة آو مالك"

"بس يا اختي قد سدينا على البيس"

"و الله ما بقت الا حق الروتي للجهال"

كتمت نجمة امتعاضها كونها مستعجلة و لا تريد الجدال معها، غير أن عضها على شفتيها و رؤية السيدة لذلك أسمعها منها شتيمة....

"شكله ما فيش رجعة لدا المكان.....يلا.....طز" سخرت نجمة من الوضع بينها و بين نفسها.

و في طريقها، قابلت آخر وجهٍ تريد رؤيته على وجه الأرض.....أنيسة.

"نجمة يا نجمة يا ام المناجمة فينك فينك تتكبري علينا لا اتصال و لا زيارة"

(ما كنتيش تعطيلي فرصة أزورك أساساً) تمتمت نجمة في نفسها، و في ذات الوقت استغربت، هل نسيت جدالهما الأخير؟ أم أنها بليدة؟ أم أنها تدبر أمراً؟

"فين راحت أيام الشاهي و الماهي والا خلاص راحت ديك الأيام؟"

"....."

"مالك؟ علقتي؟ طفت الكهرباء؟ فيبك فصلة؟"

"لا لا بس زحفانة و الله أشتي أروح ألحق أشل عدن من عند آمنة"

"و ما لقيتي تطرحي عدن الا عند آمنة؟ بتطرحيها عندي، و الا ما تستأمنيني؟"

أسرَّت نجمة في نفسها: (الصراحة؟ ايوا أحس إني ما استأمنك) ثم صرحت: "و الله يا أنيسة الله يرضى عليك مش وقت دراما و هرمونات"

"بكرة لا تقولي عدن استوابها حاجة و الا ضاعت"

"ايش دخل؟ ايش اللي يضيع عدن؟ عدن ما تضيع، أني استودعها الله كل يوم"

"دحين اسمعي، قولي لي كيف الجدول حقك من شان أكون أجزع لك، فقدت لأيام الشوهة يا جنية"

"و الله ولا شي، ما بين المستشفى و البيت، و الصباح أدور شغل"

"العصر فاضية؟ بنكون نخرج نتوله"

"معليش يا أنيسة، خليها مرة تانية"

"انتي أختاري إيش من مكان ما رحناه و بنروح نغير جو هناك"

"ايش باقي من مكان ما رحناه؟ بستان كمسري و رحنا، قلعة صيرة و رحنا، الصهاريج رحنا، الفنار و رصيف السياح و الساعة كمان رحنا، الغدير رحته معك عشانك و هو ما يعجبني، رغم انك ما رضيتي تجي معي نادي العروسة و الدبلوماسي، و مشيتها معك لما جلستي تبكي تشتي جولدمور"

"اه، يعني الآن تشتي تنتقمي، هياليل أمشي بعزمك على حسابك"

"بأروح يا أنيسة.....باتصل بك بعدين.....يلا"

****

"و كل البنات ضحكوا عليها"

جلست نجمة تستمع إلى قصة عدن في يومها الأخير في المدرسة.

"شفتي البنت اللي دكمني؟ اليوم لصوا الكهربا و لصوا المكيف، و لما رحنا الاستراحة، جلس المي حق المكيف يقطر يقطر يقطر فوق شنطتها و دفاترها و كووووولهم اتخسعوا"

"آو آو آآآو" ضحكت نجمة هي و ابنتها.

"و هي جلست تبكي تبكي تبكي، و أجت المديرة تشوف تحسب نحنا نتزنقل، و هي تمشي طحست بالمي حق المكيف و جلسوا البنات يضحكوا يضحكوا"

"مسكيناااا"

"ماما، خلاص ما باروحش مدرسة؟"

"بس هذه السنة، جبت لك إجازة من المديرة، كيف بس أمك؟ حانكتلك البنات اللي كانوا يآذنك"

"أصلاً أحسن ما كنتش اشتي مدرسة بجلس ألعب لي"

"لا يا عدن، في جهال مساكين ما فيش معاهم قلامات و لا ألوان و لا مسطرة و لا مقشطة، كدا مساكين حتى ما فيش معاهم أكل ما فيش معاهم بيت، نحنا لازم نقول الحمد لله إنه الله جاب لنا"

و انتهت دقائق الانتظار بدخول آمنة من باب العنبر "كيف سويتي اليوم؟" سألت آمنة لأول مرة، الأمر الذي أثار استغراب و بهجة نجمة في آنٍ واحد.

"تمام الحمد لله، هذه حقك اتفضلي"

و آمنة لم تقطع عادتها في فعل كل شيء بوجهٍ بارد مقتضب عديم المشاعر، و منه أخذها للمبلغ الذي وعدتها إياه نجمة، لفتان كبيرتان من الأوراق الخضراء المصفرة ذات اللون الفاقع المضر للنظر، ثم بطريقة غريبة دستهما في ملابسها.

"ما قالوش الدكاترة حاجة على ابنك؟" سألت آمنة.

"و الله شوفت عينك، جربت سألت بكل مكان يقولوا اصبري عليه بيصحى بأي لحظة و الله أعلم، و للآن قد جزعت خمسة شهور.....لحظة"

سمعت نجمة صوتاً مألوفاً يتكلم، فتتبعت الصوت حتى وصلت إلى مصدره إلى إحدى الأَسِرَّة.

"آو آو، هاجرة؟ ايش تسوي هنا؟"

من رأتها نجمة هي هاجرة، الفتاة الخادمة التي ساعدتها في زواجها من محبوبها توفيق، ترقد الآن أمامها في السرير المجاور.

"آو آو، ست نجمة؟!"

و قامت تسلم على نجمة، التي أشارت لها بعدم التحرك، إذ بدا من الواضح أنها متعبة، و ذهبت نجمة بذات نفسها تسلم عليها.

"مالك و لا شر عليك، ايش فيبك؟ من نفسك هنا؟ فينه توفيق؟"

"الحمد لله، و الله ولا حاجة الا بس نعم مراريا مدري مسمه"

"ملاريا"

"ايوا هو دا، هناك عند بيت أم توفيق قباص نامس، أول مرة يستوييبي هكدا، جابني أول توفيق و رجع يكري، بيرجع لي بكرة نعم"

"و بيخليك من نفسك هنا؟"

"عادي"

"يلا الله يحجي عليك و يحفظك و يشفيك و يعافيك، المهم الحمد لله على سلامتك" ابتسمت نجمة.

"الله يسلمك، و انتي ايش معك هنا يا ست نجمة؟"

"معيا عمران هو كمان تعبان ملاريا"

"آو آآآو لابد جازعة يا لطيف"

"دحين قولي لي، كيف الزواج؟" سألت نجمة و عليها ابتسامة ماكرة.

"اووووه يا ست نجمة، توفيق ايش على رجال، و أمه ايش على حرمة تحبني موووت، و توفيق أنيفداله مش داري ايش بيسويلي"

"الله يسعدكم يا رب"

"و الله هذا يا ست نجمة بسعد الله ثم بسعدك، لو مش انتي اللي سَلَّمْتِي لأبي و أقنعتيه فاتني الله اعلم كيف حالي"

و هنا.....

سُمِعَ صوتٌ مألوفٌ مزعج لم يرعَ حال أنه في مستشفى: "تمااااام تمااااام، قلتي سَلَّمَتْ لأبوك؟!" دخلت أنيسة و هي تجر عباءتها جراً و عينيها تشر شرراً.

9.رابعاً

"ويه ويه! كم قرحتي بيس على دي الخادمة؟!"

و كأنها لم تعرفها مطلقاً، و كأنها لم تكن جارتها يوماً، و كأنها لم تكن تستضيفها في بيتها، استمعت نجمة لأنيسة و هي تكر و تفر.

"اخص عليك يا نجمة تخلي وحدة زي دي تزيد عليك و تشل فلوسك! كم للآن شلت منك؟! ها؟!"

"أنيسة، بمعزتك عندي أقول لك، معليش هذا الموضوع يخصني، أني ما شليت من فلوسك و لا من فلوس أحد"

"ايوا بس حرام اللي تسويه! ما تعقبي إن معك زوج و عيال؟! و دي البيس أمانة عندك!"

"....."

"و كلما أهادرك تسكتي جعلك ساكت"

"أنيسة الله يرضى عليك، نحنا بمستشفى"

"بلا مستشفى بلا جن! بتجيبولي الجنان انتو!"

"الله يهديك يا أنيسة بس"

"الله يهديني ها؟! هيا أني بوريك"

و مثلما دخلت مغاضبة سريعة خرجت كذلك، و هنا التفتت نجمة لهاجرة معتذرة: "معليش يا هاجرة سامحيني، قدك تعرفيها أنيسة"

"لا و الله سامحيني أني يا ست نجمة إذا سببت لك مشاكل"

"لا تهمي خلاص انتي الآن تعبانة لازم ترتاحي.....آمنة أني بأروح الآن"

"الله معك" أجابت آمنة بنبرتها المعتادة.

و استغرق وصول نجمة بعد بحثها عن مواصلات عامة توصلها لبيتها ما يقرب الساعة و النصف بسبب زحمة نهاية الأسبوع، و عند صعودها لدرج العمارة، وجدت هناك جالساً خالد منتظراً إياها.

"حياك يا خالد مالك جالس هنا بالحما؟" رحبت به نجمة.

"ايش هذا الذي سمعته يا أم عدن؟" سألها في نبرة حادة.

"لحظة بأفك الباب"

"هيا فيسع"

و ما إن وضعت حقيبتها على المنضدة على المدخل حتى بادرته بالسؤال، لأنها رأت نظرة الغير راضي على وجهه: "مالك يا خالد ايش في؟ ايش سمعت؟"

"سمعت إنك سَلَّمْتِي حق زواج للحارس و الشغالة، هذا صدق؟"

"من مين سمعت؟"

"مش مهم من مين سمعت، هذا الكلام صدق و الا كدب؟!"

"و انتا بالله عليك تتسمع هدرة حريم؟! مالك يا خالد؟!"

"معناته من صدق! تلعبي ببيس أخي يا غارة الله!"

"لا مش صدق! ما لعبت بفلوس أخوك الله المستعان!"

"احلفي كيه!"

"....."

"معناته صدق! حسبي الله و نعم الوكيل عليك من مرت أخ! مرة زواج للأخدام! مرة تمريض للأخدام! الله أعلم كم قرحتي! مليون؟! مية ميتين ألف؟!"

"دحين مالك يا خالد واجي هكذا تناجم صلي على النبي؟! ما تشوف كيفني مخبوطة هنا و هنا و معيا ابن مريض بالمستشفى؟!"

"و الله جزعتيها علينا انتي و المرض حق ابنك"

"حرام عليك يا خالد هدا ابن أخوك! بيوم أجيتا تزوره؟ اتصلت تطمن عله؟"

"تشتينا أشله عندي بأشله"

"ايش تشله؟ الليد لازم يكون بمستشفى عشان الأجهزة و المراقبة"

"بلا مستشفى بلا خرط! كلهم يزيدوا عليك يسرقنك، مالك مالك كدا هبلة كل من جزع زاد عليك و سرقك؟ و الدليل الحارس و الشغالة و ديك المرا"

"دحين ايش تشتي يا خالد واجي لي كدا تصايح ببيتي؟"

"ايش من بيتك؟ دا بيتي بيتي، أنتي مستأجرة مني"

"ها؟! دا البيت اللي اشتراه أخوك بفلوسه و هبالك هو بحسن نية و طيبة منه"

"بيتي بيتي حقي، مسجل باسمي، أجيب لك الأوراق أوريك انه باسمي؟"

"دحين خارجني يا خالد ايش تشتي؟ شوف اعصابي تعبت"

"تعبتي و أتعبتي نحنا معك، مادام معك بيس تجدليها يمين و شمال، أشتي الإيجار حق الشهر الأولاني و حق الشهر دا"

"ما فيش معي"

"دا آخر ما عندك؟"

"دا آخر ما عندي"

"أنا باجي آخر الشهر تاريخ خمسة و عشرين، تاريخ ستة و عشرين ما حصلت فلوسي ما بيقع خير"

و صفخ الباب بعنفٍ و هو يخرج حتى ارتج الصوت في طول العمارة، هنا التفتت الصغيرة عدن إلى أمها...

"ماما، ماله عمو خالد يصايح؟"

"مالك منه"

"ليش يقول عليك تلعبي بالفلوس؟"

"عدن، لمن نواسي الضباحى، هذا مش لعب بالفلوس، لأن ربنا بيحب نحنا و بيجيب لنحنا بدالها أحسن منها، أما اللي ما يعطي المساكين، هذا ربنا ما يحبه و يخليه زعلان"

"كما عمو خالد؟"

فأطلقت نجمة ضحكة ربما سمعها أهل التواهي و القلوعة، و لكن تلك كانت ضحكة الإحساس بالوصول للقاع، حرصت نجمة على أن تجعل ابنتها ترقد سريعًا، ثم فرشت سجادتها و ارتدت قميص صلاتها.....

و صَلَّت.....

ثم صَلَّت.....

و صَلَّت....

ثم استقرت.

و تقوقعت على السجادة.

"إلهي.....أنت تعلم بحالي"

"إلهي لا تحوجني إليهم"

"إلهي ارزقني عملاً صالحاً يقربني إليك في الدنيا و الآخرة"

"اللهم اغنني بحلالك عن حرامك و بفضلك عمن سواك"

"إلهي اقضِ عني ديوني"

"إلهي.....أنقذني"

ثم بكت بدون صوت.

حتى نامت.....

****

الصباح.....

صباحٌ لم تتمن أن يأتي، يأتي كل يوم رغماً عنها، و رغماً عنها تقوم لأجل مسؤولياتها.....

هل من حق المرء الهرب؟

ألهرب رفاهية؟

إنه رفاهية الجبناء.....

تفقدت جدول أعمالها على جوالها لترى ما عليها فعله لليوم.....

"زيارة مركز الشرطة و تفقد الأمور"

زفرت تأففاً لأنها تعرف أن الأمر لن يسير على ما يرام، لكنها مضطرة للذهاب....

كوب قهوة بالحليب لها.

الغزية المحمودة - حسين طلال

و كوب حليب و واحد رغيف بالمربى لابنتها.

فطور أكثر من كافٍ بالنسبة لها هي و ابنتها، و لا داعي للخبز و الفاصوليا.

ثم لدى خروجها من باب شقتها، إذ بها بأنيسة تقف مستمعةً لخالد و هو يتحدث إلى رجلٍ آخر لم ترتح نجمة لمظهره.

همت نجمة أن تتجاهلهم و تنزل الدرج، إلا أن صوت أنيسة الحاد استوقفها: "آو آو آو الله لا يغير علينا حال لا صباح الخير و لا سلام"

"صباح الخير يا أنيسة" التفتت نجمة إليها.

"آو آو مالك كدا تقوليها بلا نفس؟"

"مستعجلة يا أنيسة الله يرضى عليك"

"مرة مستعجلة و مرة سيدة أعمال خلاص ما عاد تفضي لحد"

"دحين يا أنيسة انتي ما فيش معك شغلة الا أني؟ روحي الله يرضى عليك شوفي بيتك و زوجك و خليلي حالي لو سمحتي"

"و الله مش أني اللي زوجي جدل بي و راح يدور بيجيب مش عمة و بس، بيجيب ثلاث عمات لعياله"

"خالد! ما تِسَكِّتْ هذه المرا؟! ساكت عليها و هي تتكلم على أخوك؟!" التفتت نجمة إلى خالد في حرقة و غضب.

"و الله لما يكون الكلام صدق، و أسمع إنه أخي يدور من حرمة لحرمة داخل أوروبا مالي إلا أسكت" أجاب خالد دون أن يلتفت.

"دحين مالكم أنتا و هي بتجننوبي ما معكم شغلة إلا أني و زوجي؟!" انفعلت نجمة.

"زوجك هو اللي ما عاد تهميه انتي، فاته أجا جنبك لما ابنك اصطاب! لكنه مش فاضي! فاضي الا لل اهي اهي" استمرت أنيسة في نعيقها حتى خرج الجيران الآخرون يسترقون السمع لما لا حق لهم في سماعه إلا فضالةً.

و استرسل خالد هو الآخر: "أخي مع الأسف من كتر ما أسمع عليه أخبار من المسافرين استوى ما عاد يشرفنا اعترف به، خلاص لا عاد معي أخ و لا هو يدور لي، نَزَّل ريوسنا بالأرض، والف ينزل هو لعدن بس خلاص عقله اشطتف"

صَمَّت نجمة أذنيها و سحبت ابنتها و نزلت الدرج تتجاهلهما، ما أثار أعصابهما.

"ايوا لما ما تعجبك الهدرة! كدا لما يكون الكلام من صدق محد يعجبه الصدق!"

"هذا أخي قبل ما يكون زوجك يا نجمة و أنا بأدبه و أوريه إن الله حق!"

****

(معقول؟.....معقول يكون زكريا حق دي الحاجات؟.....معقول كلهم كدابين؟.....حتى المسافرين الواجين من أوروبا كلهم كدابين؟.....معقول يكون زكريا جدلبنا؟.....زكريا.....يا رب قل لي ايش الصح)

"يا استادة! يا ست! يا ووو! مالك تفسري؟"

أيقظ نجمة رذاذٌ قادم من فم ضابط مركز الشرطة السمين ذي الأسنان السوداء و الشِفَاف المشققة التي تسيل سائلاً أحمر أشاحت نجمة ببصرها عنه.

"آسفة و الله فيبي دوخة من الحما"

"الموضوع نقول لك يا أخت إنه بسبب قلة الموارد ما قدرنا نوصل للي دق ابنك" زفر الضابط المنزعج من زيارة نجمة له في الصباح الباكر و هو يمثل أنه يبحث في ملفات القضايا.

"يعني ما فيش أمل تحصلوه؟" سألت.

"نحنا معانا قضايا فوق راسنا مليان، قتل و سرقات و بلاوي خليها على الله بس كم بنكون و نحنا نشتغل بلا دعم"

"يعني خلاص أيأس؟"

"لا لا ايش تيأسي صلي على النبي أنا أقول لك إنه نحنا نشتغل بجهودنا كدا لله، و لو حصلنا دعم بنقدر نتقدم، خلي يفتهم لك يا استاذة" و قام الضابط إلى الدولاب عديم الابواب خلفه قبل أن يفتح درج مكتبه و يتركه مفتوحاً.

فهمت نجمة المغزى، و تمنت لو أنها وكلت أمرها إلى الله ولا أتت إلى هنا، و لم يشعر الضابط إلا بعد أن رحلت نجمة و درج مكتبه خاوٍ، و هم أن ينادي معاونيه ليستوقفوها، و لكنها قد رحلت بلا رجعة.

****

ثم أنه أتاها اتصال بالموافقة على وظيفةٍ تقدمت لها، كاشير في إحدى المراكز التجارية، و على الرغم من هزالة الراتب و كثافة عدد الساعات، إلا أنه بحسابات داخل رأسها وجدت أنه ما زال أفضل من خدمتها في البيوت و المحلات و ستتمكن من قضاء المزيد من الوقت مع عدن، تلك المعادلة المفقودة و الضحية الصامتة في هذا المنوال كله.

وافقت....

و سارت الأيام حتى آخر الشهر....

و عند تسلمها لراتبها في تاريخ الخامس و العشرين من الشهر، توقعت أن خالد سيداهمها مطالباً إياها بالإيجار، و لكنه لم يظهر حتى، فآثرت أن تظن به خيراً.

غير أنه في غرة الشهر في تاريخ الأول منه....

و بينما نجمة عائدةٌ مساءً إلى بيتها.....

فوجئت بالأقفال على باب شقتها.....

10.اليوم بسنة إلا أسبوعين

تلمست تلك الأقفال الثلاثة الساخنة على باب شقتها، غير متوقعة أن خالداً قد يقدم على فعلٍ كهذا، و بينما تفكر فيما عليها فعله الآن، شدتها ابنتها: "ماما، مالهم قفلوا حقنا البيت؟"

"عدن....."

"حقنا السامان داخل"

احتضنت نجمة ابنتها بكل ما أوتيت: (كيف أجالك قلب يا خالد؟! طيب تكرهني بس ايش دخل الجهال؟!)

"ماما.....فين بنرقد؟"

جاء سؤالها كالصاعقة، فعلاً، ماذا ستفعل الآن؟ أين ستذهب هي و ابنتها؟

هي مدركةٌ أن الاتصال بخالد لن يأتي بخير بعد فعل فعلته، تشتكي للشرطة؟ قد رأت ما الشرطة قادرةٌ عليه....

ترددت في البداية، لكنها ضغطت على نفسها و على كرامتها، و دقت باب أنيسة، لترد عليها أنيسة من خلف الباب دون أن تفتحه: "مين؟"

"أني نجمة يا أنيسة؟"

"ها نجمة مالك؟"

و شرحت نجمة الوضع التي هي به الآن: "مشان كدا أقول لك بأبيت الليلة عندك لما الصباح مشان أشوف الوضع كيف، دحين ما بحصل أحد يتصرف لي"

"و الله سامحيني شوفي، زوجي موجود ما بقدر أدخلك ما يقعش"

"ها؟"

"شوفي جارتنا الحجة رضية بتخليك"

ثم انطلق صوتٌ حادٌّ و ناعمٌ من داخل شقة أنيسة: "من يا أنيسة؟"

هنا...كرهت نجمة كونها أنثى ذات سمعٍ قوي بعدما سمعت صوت أنيسة الخافت التي حاولت اخفاؤه لكن نجمة سمعته على أية حال: "محد وحدة طلابة"

"لا حول ولا قوة الا بالله" قالتها نجمة و هي تجر عدن وراءها.

"آح يا ماما عورتيني"

".....آسفة يا بنتي" انحنت نجمة و قَبَّلَت عدن على جبينها، و خففت من قبضة يدها، التي شدتها آنفاً من شدة انفعالها دون قصد.

و نزلت فعلاً و دقت باب تلك الجارة المدعوة رضية.

لم تجب رضية.

ثم انتقلت لدق باب آخرين، أولئك الآخرين الذين يفترض بأنهم يعرفونها حق المعرفة إذ حلوا ضيوفاً ما لا يقل عن مرةٍ عندها.

لكن.....

هل انتشر سم أنيسة و استشرى إلى هذه الدرجة؟ إذ أن الردود ما بين تجاهل و رفض مخلوطٍ بنظرات اشمئزاز.

لم يبقَ إلا.....آمنة!

دعت نجمة من قلبها أن تكون آمنة في بيتها....

دقت و دقت و دقت.

ما من أحد.

"مالني هبلة! هي بالمستشفى مع عمران" صفعت جبهتها.

أخذت من فورها سيارة أجرة لم يتوانَ سائقها في طلب مبلغٍ محترم، و لكن ذلك آخر همومها.

و لدى وصولها إلى سرير عمران، فوجئت بعدم وجود آمنة، و لدى سؤال الممرضات عنها، مدوا لها ورقة، رسالة من آمنة: "أني مسافرة مشان شغلة ضروري و بأجيلك"

قرأت النجمة عدة مرات، ربما تتغير الكلمات في مرةٍ منها، تطويها، ثم تخرجها و تقرأها مرةً ثانية...

جلست هي و ابنتها على سرير عمران صامتتان، مرة ساعة و نصف حان بعدها اغلاق الأنوار.

ذهبت لتسأل عن سرير فارغ.....ملاءة؟ لحاف؟ أي شيء؟

لا شيء في هذا المستشفى الحكومي المتواضع المتهالك، و لا حتى كرسي..... لم يكن هنالك مكانٌ حتى لطفل بجانب عمران النائم من عدة أشهر...

حمدت الله حينها أنها قد لبست طبقات عدةٍ من الثياب، لذا فقد نزعت عباءتها السوداء و فرشتها على الأرض لابنتها، التي لم تنبس ببنت شفة و لم تشتكِ.

و تمددت هي بجانبها، للمرة الثانية تكره كونها أنثى ذات حاسة شم قوية، ما ينبعث من الأرضية الخشنة الساخنة القاسية الصلبة روائح "القعاميس" و الغبار و أشياء أخرى اختلطت لتنتج عبقاً يشرخ الرأس و لا يسر الكافر.

التفتت الأم الممددة على الأرض إلى ابنتها الممددة جانبها: "سامحيني يا حبيبتي"

"معليش يا ماما، مش انتي قلتي في ناس ما فيش معاهم مكان يرقدوا؟ نحنا حصلنا بالمستشفى نرقد"

و استدارت عدن إلى الجهة الأخرى، سمح ذلك لنجمة أن ترسل دمعةً كانت قد كافحت في حبسها أخيراً.

****

في اليوم التالي، بحثت نجمة عن ممرضة تعتني بابنها بدلاً منها في غيابها، و كان عليها أن تُفْهِم تلك الممرضة التي وجدتها ما معنى الاعتناء بمريض الغيبوبة، من تغيير لوضعيته و الملاءات تحته و تغيير القسطرة، و رغم أن الممرضة كانت تهز رأسها كل دقيقتين بقولها: "ايوا اعرف اعرف مو بتعلميني شغلي" إلا أن نجمة استمرت بشرحها احتياطاً، ثم مدت لها مبلغاً يساوي ما كانت ستعطيه لآمنة، ثم اضطرت أن تضاعف المبلغ كي تمحو ملامح الاستياء من وجه الممرضة خشية أن تهمل ما عليها فعله.

ثم يبدأ بعدها روتين جديد من حياة نجمة.

صباحاً إلى العمل في المركز التجاري آخذةً ابنتها معها، و لحسن حظها أن دوامها يتضمن وجبة غداء على حسابهم، ثم تعود في العصر إلى المستشفى، حيث تبيت مساءً هناك هي و عدن.

و كل ليلة، ترسل نجمة سهماً صامتاً إلى السماء.

"ربي أنقذني"

و استمر هذا الحال شهراً آخر...

و في نهاية الشهر التالي، جاء أمرٌ بصرف نجمة من العمل، ذلك لأنها كانت ترفض العمل بالورديات المسائية و لا أن تغطي غيابات زملاءها، و لم يستمع أو يهتم أحد لظرفها الخاص، و لم تشفع لها الصداقات التي أقامتها مع أناسٍ تملقت لهم و تماشت معهم رغم اختلاف عقلياتها معهم و تحملها إياهم، و لا تحمل الزبائن ناقصي العقل و الدين الذين يرمون بالأسئلة البديهية الغريبة إما جهلًا مستفزًا أو تعمدًا ساديًّا، و أيًّا ما كان ليحدث لو لم تكن هنالك مسؤوليات على المحك فوق رأسها.

لكن هذه المرة كانت قد استطاعت توفير مبلغ الذهاب لذلك المكتب التعاوني الأوروبي الذي سمعت به، مبلغٌ يكفي لرحلة واحدة ذهاباً و إياباً، ربما كان هذا المبلغ ليكفي لمصاريف أخرى، لكنها قررت بعد صراعٍ داخلي أن تأخذ المغامرة.

****

دار سعد.....

يقال أن أميرًا بنى قصرًا آيةً في الجمال و بهر الناس به حتى سموه دار السعد على اسم ذلك الأمير، و لكن لم تجد نجمة لا قصرًا و ما زالت تبحث عن سعدٍ و قد خسرت قبلًا دارًا...

استقلت عدة باصات حتى وصلت، مبنىً من طابقين على بابه لوحة بلغتين العربية و أخرى أجنبية تكافح ألا تسقط.

لم تجد إلا موظفاً واحداً بالداخل جاء بعد أن نادت عدة مرات، جاء بخدٍّ أخضر منتفخ و "جرم علاقي" و "مِعْوَز بيوتي"، و كان قد شفع له من وجهة نظر نجمة ترحابه و تعاونه معها، فكان بعد أن جعلها تمضي على استمارة، رفع سماعة هاتفه و تحدث بلغةٍ قبيحة الصوت و لكن عرفت نجمة أنها لغة ذلك البلد، و ذكرت له اسم زوجها بالكامل، زكريا جلال العدني، ثم بعد أن أغلق وَعَدَهَا إن اتصلت أو زارت بعد شهر من الآن فبالتأكيد ستجد خبراً عنه.

و على الرغم من قِصَر اللقاء، فإنه لم يكن هنالك بدٌّ من المكوث فقررت الرحيل، و بالقرب من محطة الباصات، تعلقت بها فتاةٌ في طول ابنتها من المتسولين، كانت نجمة على أعصابها و لم تذق طعم الراحة منذ فترة، حاولت تجاهل تلك الفتاة، و ندمت عندما استرقت النظر إلى حقيبتها لترى كم بقي معها، إنها ألف ريالٍ يتيمة هي كل ما بقي و لمحتها المتسولة بنظرةٍ ثاقبة فازداد تعلقها و عنادها، و فقدت نجمة هدوءها و أعصابها للحظة و دفعت المتسولة حتى أسقطتها، ثم بكت تلك الفتاة بصوتٍ عالٍ جلب أنظار كل من كان هناك إليها.

مشت نجمة بعيداً عل كل تلك الأصوات في رأسها التي علا ضجيجها على ضجيج الرجال هناك أن تسكت و تهدأ و تتوقف، ثم استوقفتها ابنتها: "ماما، مالك ما هبيتيلها؟"

"خلاص يا عدن"

"ماما، حرام ليش ما هبيتيلها؟"

"خلاص يا عدن! ما فيش معانا إلا حق المرواح من فين أجيب لها؟!"

"ماما، انتي دايماً تعطي كل المساكين"

"دي المرة لا يا عدن"

"ليش يا ماما؟ مش قلتي اللي يعطي المساكين ربنا يجيب له أكتر؟"

"عدن....."

"معناته لو اعطينالها ربنا بيجيب لنا أكتر"

أطرقت نجمة مفكرة، ثم أخذت نفساً، ثم ضحكت ضحكةً خفيفة "قدها خاربة خاربة ها؟" ثم أخرجت الألف الريال.

"عدن، روحي قولي لها نحنا آسفين، و هذه حقك"

و فعلاً ذهبت عدن و أعطت كل ما كانوا يملكون ساعتها.....

مرت ربع ساعة من الوقوف لا تدري نجمة ما الذي عليها فعله، حتى مر سائق باص و سأل نجمة: "فين تشتي يا أختي؟"

"نشتي الشيخ"

"اطلعي بأعبرك"

"ما فيش معي حق الكرى"

"عادي يا اختي اطلعي، الدنيا لله لا تهمي"

و صعدت نجمة هي و ابنتها، و في الطريق سألها كذلك: "تشتي مكان بالشيخ يا اختي؟"

"باشوف لو حصلت لما المستشفى هذيك اللي بالمنصورة"

"بأمدبك لما باب المستشفى ولا يهمك"

"حرام و الله تعب عليك"

"لا لا ولا تسلمي حاجة، الله المستعان، الناس للناس يا اختي عادها الدنيا بخير، بس بجزع المنصورة بجدل حاجة لواحد و بوصلك"

(فعلاً)

المنصورة....

لا علاقة للاسم لا من قريب و لا من بعيد لا بالمحافظة و لا بالمديرية و لا بساكنيها و لا بنجمة، ربما انتصرت عدن عدة مرات، لكن ربما لم تبقَ منصورة.

من مذياع الباص كانت تتنحنح أغنية بصوت فيه حشرجة من قِدَم المذياع:

جاني جوابك يا حبيبي جاني
فرحت لما استلمته ظنيته محمل بالسلام
و ليه حتى كتبته و ليه حملته شرارة للخصام
شوف كل ما انتا كتبته
ذنب في حقي ارتكبته
وكنت فاكر انني باقرا تحية في البداية
ما كنت فكرت انني باقرا عتاب
كان ظني فوق ما صور خيالك ذي الحكاية
لكن ظني يا حبيب بالروح خاب

و لم تستبن نجمة الأغنية بسبب ثرثرة السائق عن حياته الشخصية طوال فترة الرحلة، إلا أنها لم تمانع و عذرته في ذلك كونها مجانية، حتى أوصلها لباب المستشفى و رحل.

و هناك، أخرجت نجمة مبلغاً كانت قد خبأته بعناية في سرير ابنها، هذا المبلغ يكفي لوجبة عشاء لهما، و رحلة بحث عن عمل في الصباح جديدة.

و ماذا لو لم تجد عملاً؟

فلهذا، اشترت ما يكفي ابنتها فقط.

و باتت نجمة بمعدة خاوية، لكن غير نادمة.

11.الحلقة المفقودة

رفض جديد.....

صار الأمر كالنكتة يضحك نجمة في كل مرة....

تدخل المرفق أو الشركة أو المنظمة أو أيا يكن...

تسأل عن إن كان هناك وظيفة...

لا؟ تستدير كالكرة النطاطة إلى الباب خروجاً.

ثم جاءها اتصال من إحدى الزميلات من عملها السابق تدلها على شركةٍ موقعها في كريتر، لم ترتح نجمة لتلك المنطقة مطلقاً، و لكن بدا الأمر واعداً هذه المرة بعد أن أخبرتها أن تذكر اسمها أمام مدير تلك الشركة.

و فعلاً ذهبت، و عندما وصلت و دخلت، و كأنها لم تعد في عدن بل في قارةٍ أخرى، قطعة من الفخامة يمتزج فيها غمق لون الخشب الفاخر لطاولة

الاستقبال و لمعان الأرض الرخامية و برودة هواء المكيفات اللطيف، الذي و كأنه حبيبٌ يمسح على وجنتي حبيبته مسحاً محبباً.

"اطلعي للإتش آر" قال موظف الاستقبال ذو البزة الرسمية دون أن يلتفت.

(من أولها؟) سَلَّت نجمة نفسها في نفسها بعد أن سمعت لكنة الموظف العدنية و الغير عدنية في نفس الوقت، و كلمة إتش آر (كملي ما اسمعش انجليزي) أخفت ضحكتها.

في الدور الثاني، نظر موظف الموارد البشرية بانزعاج لنجمة: "منو قال لك إنه معانا توظيف؟!"

فما كان من نجمة إلا أن انسحبت بهدوء كونها معتادة على الرفض و لا داعي للشعور بالحزن في كل مرة، غير أن موظفاً آخر استوقفها: "من شان التوظيف؟ اسقلك منه دا، اطلعي دايركت لعند المدير صدام قدمي ملفك"

و فعلاً صعدت للدور الثالث حيث مكتب مدير تلك الشركة، و استأذنت السكرتيرة لها بالدخول و تركت ابنتها في كراسي الانتظار خارجاً.

و هناك، استرعى نظرها مظهر ذلك المدير، شابٌّ ذي بشرة بيضاء و ذقنٍ عريض، ذو بنيةٍ حسنة و ابتسامة بيضاء ناصعة تشبه ممثلي أفلام هوليوود، ظل يحدق ذلك المدير في عيني نجمة حتى أرغمها على أن تنزل نظرها في الأرض، ثم تكلم: "أهلاً و سهلاً يا استاذة، سمعت عنك و عن اجتهادك من زميلاتك بشغلك الأولاني"

"تسلم يا استاذ، أشكرك"

"من غير استاذ، نادينا صدام"

"اتشرفت بمعرفتك استاذ صدام"

"اه لا لا، أنا اللي اتشرفت بمعرفتك، كنت أراقبك بالكيمرات من على ما دخلتي باب الشركة، و الصراحة باين من مظهرك إنك وحدة حق شغل"

"شكراً لك"

"هممممممم.....اسمك نجمة، صح؟"

"صحيح"

"اوهو؟ بكلاريوس حقوق، معناته زملاء نحنا أنا محامي محكمة عليا"

"ماشاء الله، أني طبقت حق سنة كدا و بعدها حولت شغل تاني"

"ليش ما عجبنك المحاماة؟"

"لا المحاماة حلوة بس أني اللي حسيت نفسي مش مناسبة للشغلة"

"هممم.....و خريجة معهد اللغات و الحاسوب، و الكمبيوتر؟"

"أني الحمد لله عندي إجادة تامة للغة الانجليزية و الأوفيس و الفوتوشوب لحد آخر إصدار، و من قبل اشتغلت شؤون موظفين و شؤون قانونية"

"اخر مرة اشتغلتي قبل اطنعشر سنة، معقول ما حصلتي شغل من ديك الأيام على هذه المواصفات؟"

"اتزوجت الحمد لله و انشغلت بالزواج و الجهال"

"ما شاء الله، ما يبان عليك، كم معك جهال؟"

"معيا وليد و بنت"

"خلي بنتك تشتغل معانا طيب؟"

"بنتي.....عادها جاهلة"

"أمزح معك يا استاذة، و الله شوفي ملفك واعد و انتي الصراحة دخلتي قلبي، لبقة و حسنة المظهر و عندك الخبرة العملية أظن ما يحتاج نختبرك حتى"

"الله يسلمك يا استاذ"

"اء اء، ايش قلنا؟ بدون ألقاب رجاءً، من يوم و رايح تنادينا صدام و أناديك آنسة نجمة"

"اوكي" أطلقت نجمة ضحكة صغيرة عن غير قصد.

ثم رفع سماعة هاتفه "بتجيلك البنت اصرفيلها ثلاثين ألف من حسابي" قالها و هو ينظر مرةً أخرى لعيني نجمة.

"ما دام حسبت لي قدمة معناته خلاص اتوظفت؟" أشرق وجه نجمة.

"هذه مش قدمة، هذه من عندي هدية"

"او لا يا أستاذ مش ضروري"

"لا لا عادي و لا تهمي لازم ندعم البنات المجتهدات، بأخلي ملفك عندي و بكرة اجزعيلي نفس الوقت"

"و الله أشكرك يا استاذ صدام"

"لا شكر على واجب يا آنسة نجمة"

و ابتسم ابتسامة جعلت نجمة تشيح النظر مجدداً استحياءً.

ثم بعدما تسلمت نجمة المبلغ من السكرتيرة، أقفلت عائدة، لكن ليس قبل أن تقفز هي و ابنتها لذلك المطعم المفضل لديهم الواقع في جولة كالتكس بمدخل المنصورة و تطلب لها و لابنتها وجبتهما المفضلة و تفترسانها من فورهما.

(مش اسراف) ليس اسرافاً إذا خففت قليلاً على ابنتها كما فكرت.

ثم نزلت السوق و اشترت لحافاً و وسادة و شيئاً لابنتها.

و باتت تلك الليلة تفكر في حدث اليوم الذي مر، و كلما أرادت التفكير في شيء تتراءى لها صورة ذلك المدير صدام و هو ينظر لعينيها و يبتسم تلك الابتسامة.

"استغفر الله استغفر الله!"

ثم ضحدت أفكاراً شيطانية داهمتها و هي تحاول النوم.

و نجحت في ذلك...

لكن ضحكةً على ثغرها لم تفارقها حتى الصباح.

****

صباحاً مبكراً.....

حضرت و انتظرت وصول المدير صدام في كراسي الانتظار مع ابنتها، ثم وصل و ابتسم نفس ابتسامته من البارحة: "يا حيا و سهلا بالآنسة نجمة! يعجبونا الموظفين المبكرين!"

"أهلاً و سهلاً فيك استاد صدام"

"اتفضلي اتفضلي المكان مكانك، ما عادكش ضيفة خلاص انتي مننا و فينا"

ثم بعد أن جلس خلف كرسيه و أتته السكرتيرة بالشاي، طلب منها أن تأتي بكوبٍ آخر لنجمة.

"أوكي يا آنسة نجمة، أنا بخليك سكرتيرة هنا بدل الاستاذة هذه اللي خرجت من قليل، و هي بأحولها للحسابات، هي كمان مجتهدة و تستاهل ترقية، تفهمي بالسكرتارية، صح؟"

"ما عليك ولا يهمك حتى لو في حاجة ما أفهمها بأتعلمها بسرعة شوفني أفهم من مرة وحدة"

"ممتاز ممتاز حلو، أنا بأحسبلك مئة و خمسين ألف بالشهر، بواقع خمس ساعات باليوم و خمس أيام بالأسبوع، كيف؟ مخارج معك؟"

كادت نجمة أن تشهق و تفقد هدوءها، هذا حرفياً ضعف راتبها السابق و نصف وقت الدوام السابق بالإضافة ليومٍ إضافي إجازة في الأسبوع.

"احم.....امممم.....ايوا ايوا مخارج معي الحمد لله!"

"إذن اتفقنا و على بركة الله ممكن من بداية الاسبوع الواجي تباشري العمل"

"أشكرك و جزاك الله خير يا استاذ صدام"

هنا اعتدل صدام في جلسته و تغيرت ملامحه، و قام و خلع معطف بدلته الرسمية و أطفأ المكيف و فتح النافذة، و رجع و جلس على كرسيه.

"آنسة نجمة، أنا سمعت باللي حصل لابنك، ربنا يقيمه بالسلامة، و أنا ممكن أتكفل بعلاجه بأحسن مستشفى و من و إلى"

"كيف؟.....معيا تأمين صحي لي و لعيالي يعني؟"

"لا لا مش كدا، هدا مني يعني، بس خلينا أغلق كلامي"

"ايش؟"

"و تشوفي العمارة الطويلة اللي هناك بالمحلات؟" و أشار إلى عمارة ذات اثنا عشر دوراً من النافذة "هديك العمارة كمان حقي، الشقة حقي فوق بآخر دور تطلعيها باللفت و المنظر من الطيرمانة ما يحتاج، يجنن"

"ما شاء الله"

"و معيا أخوان و خوات بالخليج يعني ربنا فاتح علينا من فضله و الحمد لله و نحنا اشتغلنا و بنينا هذا كله بعرق جبيننا لا أحد يسأل نحنا و لا علينا حاجة"

لم تفهم نجمة المغزى من كلامه، إذ ظنت أنه يعدد لها المسؤوليات التي عليها الانتباه لها في عملها، و لكن بدا الأمر آخر بكلامه التالي.

"أنا سمعت بموضوع اختفاء زوجك"

"ايش؟!"

"على فكرة طلعت أعرفه، زكريا العدني دا صاحبي بالكلية كان، و اعرف أخوه خالد و امه و ابوه الله يرحمهم"

استنكرت نجمة بينها و بين نفسها: (دحين الناس دونا من فين يطلعوا يعرفوا بعض و يعرفوا دي الخبابير؟)

و أكمل هو ضاحكًا: "ها مالك، طلعنا أهل و نحنا ما ندريش"

"معليش يعني لو سألت، بس كيف عرفت بموضوع الاختفاء حقه؟"

"معيا معارف مليان بكل الوزارات و السفارات كلهم يشتوا يخدمونا بعيونهم"

"طيب في خبر عنه؟"

"و الله شوفي يا ست الكل، السجن اللي استجن فيبه الأخ زكريا أقول لك، ما فيش منه مخرج، اللي يدخل محد عاد يسمع له حس و لا خبر، يعني بعيد الشر بعيد الشر، يمكن يكون عند ربه خلاص"

"بس.....أني سويت اتصال بالمكتب التعاوني و قالولي انهم بيشوفوه!"

"ما بيشوفوه أقول لك، شوفيهم خراطين"

ظلت نجمة مصدومة و صامتة و لا تدري ماذا تقول و لا كيف ترد، ليرد هو: "أنا لك عندي زيما تقولي.....عرض"

"ايش هو؟"

"أنا قادر أفكك من العكارة دي كلها"

"كيف؟"

"أنا معيا معاريف بوزارة العدل و محكمة الاستئناف و بالخارجية، لو صبرتي شهر، بتكون قد جزعت سنة على انقطاع أخباره، بأقدم ورقة و بأخرج له حكم من محكمة إنه قد اتوفى"

"ايش؟!"

"لحظة اسمعينا خلينا أغلق كلامي لو سمحتي، بأصدق الورقة هذه من الخارجية و السفارة، كله قانوني و لا في كذب و لا تلاعب و بدون رشاوي"

"و بعدين يعني؟! ايش استفدت؟!"

"استفدتي إنك ما عاد بتكوني بذمته، بتقدري تعيشي حياتك و تبدئي صفحة جديدة بعيداً عنه و عن الهدرة و الاشاعات"

"أعيش حياتي كيف يعني؟!"

"شوفي، أسألي عني الناس و عن أخلاقي و تعاملي، و لا سيجارة و لا تمبل و لا أخزن و لا حاجة من دي الخرابيط، لا أخرج مع أصحاب ولا عيال، و ربنا فاتح عليا و معي بيت و سيارة و شغل مربح و الحمد لله، باقيلي بس اللي تشاركنا"

"دحين ايش اللي تشتي توصل له؟! أدخل بالموضوع لا تحورا!"

"أنا أشتيك لنفسي يا آنسة نجمة"

"كيف؟! أنتا مجنون؟! ما تسمع نفسك تقول دا الكلام لحرمة مزوجة؟!"

"أنا مش مجنون يا آنسة نجمة، أنا أشتيك بالحلال و على سنة الله و رسوله، بعدما تكملي عدتك من زوجك، بأهب لك المهر اللي تطلبيه، من المليون للعشرة مليون، و ابنك بأداويه بأحسن مستشفى، و بنتك بأدخلها أحسن مدرسة، أولادك بيكونوا أولادي و بطرحهم بعيوني، و انتي بأفرش لك الأرض ذهب و بأطلطلك بالذهب طلطال، و طلباتك كلها منفذة، انتي بس وافقي"

"دحين مالك من صدقك أنت و الا تتهابل؟"

"لا تردي عليا الآن و لا اليوم و لا بكرة، خدي وقتك و بالراحة رديلي"

قامت نجمة مغاضبة و مشت ناحية الباب، ليستوقفها صدام: "ايش ما كان المكان اللي بترجعيله بأجيب لك اللي أحسن منه، و انتي عقلك براسك فكري"

تجاهلت كلامه و استقلت باصاً مع ابنتها عائدةً إلى المستشفى.....و هناك في تلك الليلة، بعد أن نامت ابنتها، جرى صراعٌ داخلي في نفسها، نظرت إلى حال ابنتها و ابنها، و كيف كانت هي، و كيف جفاها الناس..

كل هذا يمكن أن ينتهي بكلمة واحدة....أن تقول له نعم.....

ربما فعلاً تخلى عنها زوجها، ربما فعلاً نساهم و ذهب خلف أيٍّ ما كان يسعى خلفه، و حتى لو لم يفعل، ربما فعلاً لم يعد موجوداً في الدنيا، و إن كان كذلك، فما الفائدة من المقاومة؟

انقسم رأس نجمة لسبعةٍ و سبعين شرخاً كلٌّ منهم يرسل صداعاً مؤلماً في رأسها و وحشةً قاسية إلى قلبها.....

"ايش أسوي؟"

"قل لي يا رب ايش أسوي؟"

"كيف افعل بعيالي يا رب؟"

"ماما جليلة، لو كنتي مكاني ايش بتسوي؟"

12.التقاطع المترابط

حزمت أمرها...و قررت...

و ذهبت إلى مكتب المدير صدام و قابلت سكرتيرته، التي بادرتها: "الأستاذ صدام يسأل عليك و يقول ايش عاد قلتي على الدوام؟"

"مع احترامي للأخ صدام بس قولي له أم عمران تعتذر و تقول حَصَّلَت مكان تاني"

رفعت السكرتيرة حاجباً، ثم دخلت عند المدير صدام، ثم بعد قليل خرجت من عنده لتردف: "نعم خلاص مش مشكلة، داومي أسبوع عندنا على ما نشوف لك أحد بدالك"

"لا آسفة، ما بقدر أداوم هنا خلاص"

"و لا حتى كم يوم تغطي؟"

"و لا نص يوم، ما أقدرش"

ظهر الامتعاض على وجه السكرتيرة، و لكنها دخلت عند صدام كي تعطيه رد نجمة، ثم خرجت بعد هنيهة بوجهٍ متلون متغير تمكن من إظهار مشاعر حقيقية من التضايق خلف كل طبقات المكياج و أحمر الشفاه و قلم العيون و الحواجب، و قالت: "خلاص تعالي عالأقل بكرة بس"

"أشتي الملف و الشهادات حقي لو سمحتي، هلهم عنده داخل"

"خلاص قال لك بكرة بكرة!"

تمالكت نجمة أعصابها، إن شهاداتها محبوسةٌ رهينة لديهم، ندمت لأنها لم يخطر ببالها أن تقوم بتصويرهم مسبقاً، فآثرت على الأقل أن لا تغضبهم و أن تتماشى معهم.

في اليوم التالي عادت نجمة، و لكن المدير صدام لم يكن موجوداً و باب مكتبه موصد و ليس بإمكان سكرتيرته الدخول.

في اليوم التالي، لم تكن لا السكرتيرة و لا المدير موجودين.

اليوم الذي بعده هو الخميس، و معظم الموظفين في كل القطاعات في إجازة، هذا يتضمن هذه الشركة.

الجمعة...

ثم السبت.....

فالأحد، الذي لم يداوم فيه أحد.....

و جاء يوم الاثنين أخيراً و معه السكرتيرة و المدير مبكرين على غير عادتهما، فباغتتها نجمة: "لو سمحتي أشتي حقي الشهادات من داخل"

"طيب لحظة"

فدخلت السكرتيرة لثلاث ثوان، ثم أخرجت طرف رأسها و سألت نجمة: "الاستاذ صدام يقول لك دا آخر كلام؟"

"خلاص هو كدا" أجابت نجمة.

"طيب راعي"

مرت ساعة من الانتظار، استهلكت تلك الساعة الأخيرة آخر ما تبقى من طاقة سبق و صرفتها عبر الأيام "يا أختي فين الملف حقي؟" سألت نجمة بلهجة حازمة.

"راعي" أجابت السكرتيرة بلا مبالاة.

"لا تقولي راعي، ما يجوز يا أختي"

"تمام تمام بس لا تجسي كلما ساع تدوخيبي!"

خمس دقائق أخرى هي كل ما احتاجته نجمة لتقوم و تسير نحو الباب: "الظاهر ما يمشي معاكم الا كدا"

فلحقتها السكرتيرة: "راعي راعي!!!"

و ظلت تلك السكرتيرة تلحق بنجمة حتى البهو الأمامي للشركة لتلتفت إليها نجمة: "الآن لو ما تجيبولي شهادتي بروح اشتكي عليكم!"

كانت السكرتيرة تحمل جوالها المفتوح اتصالاً إلى صدام و قالت: "الاستاذ صدام يقول بس بيهادرك"

حينها أبصرت نجمة ملفها تحت إبط السكرتيرة فانتزعته منها، ما أربك السكرتيرة التي قالت لها في يأس: "شوفي الاستاذ صدام يقول لك اصبري هو نازل الآن"

"لليييه! عاده نازل؟! لا لا حبيبتي مش مجنونة انتظره المدير حقك هذا! سلام"

و سحبت ابنتها معها عودةً إلى المستشفى، و هناك على أعتاب بوابة المستشفى، فتحت ملفها لتلقي عليه نظرة بعد أن شكت أن هذا ليس هو الملف البني الذي اعتادت أن تحمله، لتدور الدنيا برأسها و يصيبها دوار أشبه بالصاعقة نزلت على دماغها، لقد كانت أوراق شهاداتها.....مشقوقةً نصفين.

هنا.....

نفذت كل أواصر التحمل عند نجمة، فانهارت على الأرض، تصرخ و تبكي.

تصرخ و تبكي....

و دفنت وجهها في الأرض.....

تجمع حولها الناس و حاول أحدهم رفعها من الأرض.....

"قولي لا إلا الله قولي لا إله إلا الله!"

ظلوا يكررونها فوق رأسها، لكن نجمة آخر ما كانت تريد رؤيته هو وجه أي آدمي آخر على وجه هذه الأرض، فكل من يحاول رفعها كانت تدفعه و تصرخ في وجهه: "خلولي حالي يا ملاعين!!!"

و رغم أن الناس استطاعوا سحبها إلى داخل مبنى المستشفى، إلا أنه مع حدة صراخها، آثروا تركها في النهاية....

نصف ساعة من البكاء، هدأت نجمة بعدها، لكنها استوعبت أن ابنتها ليست بجانبها.

أيعقل؟!

أن أحداً ممن تجمع حولها أخذها؟

فقامت دون أن تكلم أحداً، و أرسلت نظرهاً بحثاً عن ابنتها، و أخرجها بحثها إلى خارج سور المستشفى.

قَلَّبَت نظرها في الشوارع، في الأزقة المجاورة، كل السيارات التي تمر، في كل المارة الذين يمشون و يمعنون النظر إليها.

و أرسلتها ساقيها دوراناً حول سور المستشفى الطويل.

"يا رب بنتي احجي عليها"

"عدن ما تضيعش"

"عدن عمرها ما ضاعت"

"عدن طول عمرها جنبي"

"يا الله احفظ بنتي"

"يا رب رد علي بنتي"

"أسألك يا رب إنك تحفظ بنتي"

الغربة المحمودة - حسين طلال

"أسألك يا الله إنك تحفظ عدن"

"عدن ما تضيعش"

و ظلت تكررها بينها و بين نفسها، ثم دخلت المستشفى، إلى العنبر الذي يرقد فيه ابنها.

لكنها لم تجد فقط ابنتها، التي جرت نحوها و احتضنتها بكل عنفوان.....

بل و وجدت أيضاً.

أن ابنها عمران.....

قد أفاق....

لم يستطع الابن بساقيه الضعيفتين أن يقوم إلى والدته، و لا أن يوصل صوته الضعيف إليها.

و لكن حركة عينيه و جفنيه و شفتيه بصوت: "ماما"

كان أكثر من كافٍ ليجعل تلك الأم تجري و تتلقف ابنتها بذراع، و ابنها بالذراع الأخرى، و تضمهما إليها ضماً قلبياً من كل صميمها، و ترفعهما عالياً إليها.

"اللهم لك الحمد! الحمد لله لك يا رب!"

و أرسلت نجمة بكاءً، كان ذلك البكاء يختلف عن الذي سبقه، بدلاً من أن تشعر أن قلبها يتمزق عن مكانه و يجعلها تتمنى أن تحترق أو تسحق و تختفي من على وجه الدنيا.

هذا البكاء كان مريحاً، و تمنت له أن يطول، ذَكَّرها بأيامٍ مثلجة الصدر مدفئة للفؤاد مع السيدة جليلة والدة الميتم.

كان مريحاً.

تمنت له أن يطول.

13.ألحان الذكريات

"و الآن ماذا؟"

لا.

إلا هذه الكلمة.

رفضت أن تنطقها نجمة حتى في خاطرها، لقد تصالحت مع نفسها أن هذا هو الطريق الصحيح، و آمنت أنها باختيارها هذا فإن الله لن يضيعها.

صحيحٌ أن أفكاراً مرت على رأسها و هي تفترش قارعة الطريق تستمتع إلى أذان و صلاة العشاء خارج سور المستشفى، حيث قد أنهى المستشفى معاملة ولدها، إنه سليم معافى الآن و بالتالي لا داعي من مكوثه في المستشفى، دحضتها نجمة بالأذكار التي تحفظها عن ظهر قلب.

(ألا بذكر الله تطمئن القلوب)

لذا استقر ولدها الغير قادر على السير لضعف جسده على حجرها، و ابنتها اسندت رأسها على فخذها كذلك.

تأملت نجمة مئذنة المسجد المجاور، تزينها النجوم من خلفها على تموضع و ترتيب عجيب، كانت جميلة على غير عادتها، جميلة إلى الحد الذي يجعلها تطمئن و قد تستسلم للنوم على قارعة الطريق، شعرت أن لا مشاكل هناك في العالم، و كل أهوال الدنيا قد انتهت، سلامٌ فقط.

سلام القلب هو الأهم.

ليحدث ما يحدث.

و ليكن ما يكن.

و بينما هي بين النوم و اليقظة، إذ بصوت امرأةٍ خشن يناديها: "ويه، ويه!"

فكرت نجمة من ذا الذي بكل وقاحة يوقظها من نومةٍ جميلة.

"مالك دخل خليني ارقد"

"ايش ماليش دخل؟ قومي يا أم عمران"

"جاوب يا عمران شوف عمتك ايش تشتي"

"قومي يا نجمة!"

"ها؟"

عندما استعادت وعيها بعض الشيء و رفعت رأسها، تعرفت عليها أخيراً: "آمنة! آمنة! الله يسامحك كرهتك لما خليتيني، بس الحمد لله عالسلامة"

"الله يسلمك"

"امممممم، عمران ما شاء الله أخيراً اتباخر الحمد لله"

"معيا عيون، اندكني شفته"

صمتت نجمة قليلاً في اضطراب، إجابات آمنة و ظهورها سبب لها ارتباكاً غريباً، ثم طأطأت رأسها و سألتها: "في.....حاجة أقدر أخدمك فيها يا آمنة؟"

"قومي انتي و جهالك و تعالي معيا"

"لفين؟ و الله تعبانة يا آمنة، لا أعرف فين أروح و لا فيبي طافة أروح أي مكان"

"تعالي بس"

قامت نجمة و حملت معها ابنها، و جعلت عدن تمسكها آمنة، ففي النهاية، أي شيء هو أفضل من الجلوس على الرصيف، و مشت بإحساس الذي يشعر بأنه لم يعد لديه شيء ليخسره.

****

كريتر.....

بركان خامد من المشاعر يوشك أن يثور و يعلن نهاية كل شيء، كمشاعر نجمة وقتها...

صعدت نجمة المواصلات، و كانت كلما سألت آمنة عن وجهتهم لم تجبها، ثم أوصلتها آمنة إلى حي شعبي في كريتر قريباً من سوق الطويلة، و هناك، أصعدتها إلى شقة متواضعة مكونة من غرفتين و حمام و مطبخ.

"فين نحنا يا آمنة؟" سألت نجمة في قلق.

"داخل بداك المخزن مددي ابنك بالقعادة" أشارت لها بأن تضع ابنها على السرير، و بأن تجعل ابنتها ترقد بجانب أخاها.

"امشي ننزل تحت تعالي معيا" أمرتها آمنة.

"أخلي الجهال؟ فين نحنا يا آمنة فهميني"

"بنتك تعرف تستخدم جوال؟"

"ايوا بس ليش؟"

"هذا جوال خليه جنب بنتك فيبه رصيد و مشحون، إذا في حاجة خليها تتصل منه على أول رقم، بتعرف و الا لا؟" مدت آمنة لنجمة جوالاً من النوع المتواضع، ثم أكملت: "خلي الآن الجهال يرقدوا، هذه الشقة و العمارة أمان لا تتشجني، لو في حاجة خليها تتصل، أني و انتي بننزل تحت نشرب شاهي، معيا موضوع أشتي أهادرك"

بعد أن اطمأنت نوعاً ما و شرحت لطفليها ما عليها فعله، غفا كلاهما من فوره.

ثم مدت لها آمنة ظرفاً بنياً صغيراً، بدا واضحاً من قوامه أنه مبلغ من المال، ثم أشارت لها بأن تتبعها.

"لا تخافيش، العمارة محد مستأجر فيها إلا نحنا، تعالي اعزميني شاهي"

مقهاية كُشَر كانت على بعد مرمى حجر، إنه مكان يجلس فيه الرجال عادةً، و تحرجت نجمة من الجلوس هناك، لكن جلوس آمنة هناك و نداءها للمباشر بـ "اثنين عرايسي" و تصرفها بشكل عادي، جعل نجمة ترضخ للأمر الواقع في النهاية و تجلس معها، كان الشاي لذيذاً على غير المعتاد، حتى الخمير الذي طلبته آمنة كان ذا مذاق لطيف خارجٌ عن نطاق العادة بعكس المعتاد الاعتيادي العادي المنتشر في كل مكان في عدن.

"حقهم الشاهي و الخمير تاااني" مدحت نجمة مبتسمةً.

"سبحان مغير الأحوال" علقت آمنة.

"فعلاً.....في حاجات كتير اتغيرت، اتغيرت فيبي، لكن الناس، و هذا المكان، أبداً ما بيتغير" أجابت نجمة و هي تضع الكأس الساخن في انتظاره ليبرد.

"ايش اللي اتغير فيبك؟"

"لما سافر زوجي، قال لي بتكوني بين أهلك و ناسك، في البداية ما فهمت كلامه، و تشتي الصراحة؟ للآن مش فاهمة قصده، ايش يقصد أني بين أهلي و ناسي؟ من هم أهلي و ناسي؟ ما عرفتهم و الله، و لا اعرف أحد أني"

"خانك التعبير، انتي ما اتغيرتي أبداً، و لا حتى الناس اتغيرت"

"كيف؟"

"احكيلي اللي استوالك من على ما اتفارقنا"

بدون احساس، و بدون إدراك للوقت، استرسلت نجمة في حكاية ما حدث معها منذ فراق آمنة لها، كان من الاشياء التي لم تعتد عليها نجمة و لم تجدها في حياتها رغم أنها تعطي هذا الشيء لمن حولها، أنها لم تجد أذناً مصغية، و هو ما تمثل الآن أمامها في آمنة.

"بسألك، ليش ما قبلتي عرض داك اللي اسمه صدام؟"

"ليش يعني؟"

"كان بيشلك انتي و جهالك و لا شحططة الشوارع"

"دا.....دا بيكون خيانة لزكريا....." أشاحت نجمة بوجهها.

"خيانة لزكريا اللي هو بسببه اتبهدلتي انتي و عيالك؟"

"باقول لك حاجة يا آمنة، لو فرضنا إن زكريا ما اتخلاش عننا، و انهم اتهموه كذب و زور، لو أني عملت فيبه دي الحركة، مش حرام اتظلمبه؟ و لو فرضنا انه طلع من صدق مصيبة و ابن حرام، مش لو أني عملت دي الحركة و وافقت على عرض صدام، مش باكون كدا وقعت أخص و أوسخ منه؟ لو كان بريء و فجأة الله أراد إنه يرجع، كيف بيكون شكلي؟ كيف بيكون شكلي قدام عيالي؟ باكون اشوف نفسي عزيزة؟ و الا واطية و رخيصة؟ فكرت فيها، و استخرت الله، و الله هدالي قلبي"

"و عيالك؟ ما فكرتي ايش مصيرهم؟" أنهت آمنة كوبها من الشاي.

"عيالي.....عيالي لو حبوني و احترموني و فهموني، هذا عندي بالدنيا كلها، أما لو كرهوني و عاتبوني، معناتني ما عرفت أربي، معناتني ربيت جيل همه الفلوس و المادة، معناتني ربيت جيل يهم بس يقبض بيس و ما يهمه من حرام و الا من حلال، و ساعتها باكون استاهل بالجزمة على راسي" أجابت نجمة و بدأت في شرب شايها أخيراً.

"أفكارك عن البيس و الصرفيات مش كما أحد، صدق كأنك مش من هنا و لا من الناس اللي هنا" علقت آمنة و هي تمد لها قطعة خمير.

"إذا هذا الاحساس هو الغربة، معناتني عمره ما كان لي بيت الا غرفة نومي لما أبند على نفسي"

"من علمك هكذا تصرفي البيس؟ معقول لأنك كنتي بميتم محد علمك و لا فحسك هناك؟"

"بالعكس، ماما جليلة فحسني و ربني تمام و خلني حظية مرتبة و نظيفة و نشيطة، و علمني إني أخلي الله ببالي دائماً، هي كمان اللي علمني كيف ان البيس هذه اللي بيدنا مش حقنا، هي أمانة طرحها الله عندنا، اللي معه يواسي اللي ما فيش معه"

"هممممم"

"ماما جليلة كانت انسانة سخية، ما تبقي الخمسة الريال بيدها، اللي يحتاج تهب له قبل ما يمد يده و قبل ما يطلبها حتى، ماما جليلة كانت أطيب وحدة ممكن تشوفيها، قلبها يوسع الكل و عمرها ما كرهت أحد، و كانت حتى تحسن و تجازي حتى اللي يغلطوا عليها، عمري ما شفتها تزر وجهها و الا اتشامقت بوجه أحد ابداً، الحب اللي حسيته من ماما جليلة، كان مش من انسان، ماما جليلة كانت ملاك، عشان كدا، قررت إني أكون على الأقل أحاول أكون زيها"

"و هذه جليلة عادها تعيش؟"

"لا.....ماما جليلة ماتت بالسنة اللي اتزوجت فيها.....كأنها....كأنها كانت منتظرة انها تطمن عليا....الله يرحمك يا ماما جليلة و يذكرك بالخير"

"ما تحسيش إن يعني جليلة هذه كثرنبها بموضوع الصرفيات هذه؟ شوفي كيف اللي حولك عاملنك"

"هي ممكن تكون غلطة، لكن.....هذه غلطة أني مش ندمانة عليها، لأن لو كانت ماما جليلة للآن تعيش، كنت رحت بوست رجولها و سألتها لو كانت راضية عني، و أني عارفة جوابها"

"اييييييه" تنهدت آمنة و هي تراقب نجمة التي أنهت كوبها و حصتها من الخمير "تعالي بوديك عند أوادم تعرفيهم"

مشت آمنة بنجمة إلى بيت أرضي يقع بابه بجانب العمارة التي نزلا منها آنفاً و طرقته...

"وو قصفك يا آمنة بتدخليني عند الأوادم و أني مشعففة كدا؟!" استنكرت نجمة ظناً منها أن آمنة كانت ستأخذها إلى محل تجاري و ليس إلى بيت يدخلونه، لكن هدأت نجمة و تفاجأت في نفس الوقت عند سماعها لصوت المرأة التي ردت قائلة: "مين؟"

"أني آمنة و معيا نجمة" أجابت آمنة.

"الست نجمة أجت؟!"

التفتت نجمة إلى آمنة فرأت ابتسامتها الساخرة النادرة المخيفة، لأنها رأت في وجه نجمة ملامح لا تقدر بثمن من الارتباك، فُتِحَ الباب و دلفت آمنة و من خلفها نجمة "حيا حيا و سهلا آنستينا و شرفتينا يا ست نجمة" قام كل من المرأة و الرجل الساكنين في المنزل بالوقوف احتراماً لمجيء نجمة.

لقد كانا هاجرة و توفيق، و هذا هو منزل والدة توفيق الذي يعيشان فيه، هاجرة التي قامت و احتضنت نجمة و قبلتها في يدها، و توفيق الذي ما انفك يحيي و يكاد ينحني احتراماً لنجمة على غير عادة أهل هذا البلد.

"قد قالت آمنة ان معاها مفاجأة لنا" استشاط توفيق فرحاً و حماساً.

"و الله هذه الساعة المباركة و الله فرحتيني بوجيتك" أمسكت هاجرة بفاها سعادةً.

ظلت نجمة صامتة تحاول أن تجمع الكلام المناسب للرد المناسب و هي تقلب نظرها في البيت المتواضع ذا الجو العائلي المحبب الجميل المرتب النظيف الأنيق الذي يرتاح المرء لمكوثه فيه، ثم قفز توفيق بصوته إلى هاجرة: "مالك يا حرمة؟! قومي صلحي شاهي و قربي عشا للست نجمة! هيا الليل!"

"حاضر عيوني للست نجمة!" أجابت هاجرة في حماس.

"يا ست نجمة تعالي بأخلي أمي تشوفك" قادها خالد لغرفة النوم الوحيدة في البيت و التي كان قد خصصها لوالدته الطاعنة في السن طريحة الفراش، و هناك أبصرت نجمة امرأة ذات وجهٍ مشرق لم تصدق أنه لإنسانة متقدمةٍ في العمر.

"اووه و اني فدا يا اما تعالي فديتك" دعت العجوز نجمة للاقتراب منها.

و التي ما إن جلست بجانبها حتى جذبتها و ظلت تُقَبِّلها في كل ناحية.

"كيفك حبيبي؟ كيف الجهال حقك؟ ان شاء الله ابنك اتباخر و قام بالسلامة؟" سألت العجوز أم توفيق.

"كلنا بخير و بأحسن حال و لله الحمد و المنة يا أمي" أجابت نجمة.

"ما شاء الله تبارك الله عليك يا بنتي، وجهك كله نور و بركة، و انتي كنتي سعادة علينا، البيت ايش كان غدرة، و من يوم ما كنتي سبب بزواج ابني البيت رجع له الضو و السراج، هن دايماً يدكرنك بالخير و أني اندكني لما شفتك ايش حبيتك"

"الله يعطيك الصحة و يسلمك و يعافيك يا خالة"

"و ادعيلي كمان الله يطول عمري اشوف ابن ابني و الا بنت ابني"

التفتت نجمة إلى هاجرة التي دخلت بـ "معشرة" عريضة عليها العشاء، و التي أشاحت الأخيرة وجهها في حياء، فقامت نجمة إليها و احتضنتها "مبروك يا هاجرة، يتربى بعزكم ان شاء الله"

"هذا بسعد الله ثم بسعدك يا ست نجمة، و الله ربنا ستر لما أجلي المراريا آخر مرة"

"ملاريا"

"ايوا هذه الله يزيله"

ثم وقف توفيق متحمساً: "أماه! بكرة بادبح كبش أبو الكباش و نعزم الست نجمة!"

"و الله سرقتها من لساني شباش ابني، ايوا ادبح و جيب" وافقت العجوز.

"لا لا مالكم ليش تكلفوا على نفوسكم دباحة و ما دباحة" اعترضت نجمة تحرجاً.

"الغالي يرخص لك يا ست نجمة و خلاص هي كلمة خرجت ما ترجع، عيب!"

و ضحك توفيق بصوتٍ غريب مضحك أضحك معه من كان هناك.

"هذه كمان حق السماية، إذا أجت بنت ان شاء الله بنسميها نجمة" اقترح توفيق.

ابتسمت نجمة: "لا قده حق السماية لعندي، لا تسموا نجمة، سموها.....جليلة"

****

في نهاية الأمسية، و بعد أن ودعت آمنة و نجمة تلكم العائلة المحبة و صعدتا للشقة، استوقفت آمنة نجمة: "الظرف اللي جبت لك هو، فيبه ميتين ألف، هذه حقك أني هكبت لك هي من أيام المستشفى ما كنت أصرف منها"

"آمنة....."

"أني فكيت للبيت اللي بالمعلا و استكريت هذه الشقة، ايش تقولي لو نعيش فيها أني و انتي و الجهال و نسلم الإيجار نص بنص؟"

"بس.....أني بلا شغل، و بلا شهايد، و محد عاد يرضي يشغلني"

"أني بعت الكشك بالبضاعة اللي فيبه و اتوالف لي راس مال، بنشتغل فيبه و نطلب الله أني و انتي و ناكل منه نحنا و الجهال، بتقعي أسدة و تدقي معي؟"

"آمنة.....ايوا.....بنقول بسم الله.....و الله معانا و أني بأكون معك و بتشوفي كيف بأعجبك"

و بهذا....

بدأت حياة جديدة لنجمة مع ابنها عمران و ابنتها عدن تحت سقف جديد، و عضو جديد في العائلة، استطاعت المرأتان بجهديهما البدء في مشروعٍ جديد أدر عليهما دخلاً كفاهما الإيجار و المؤونة، صحيح أنه لم يكن من الممكن للصغار الذهاب للمدرسة، لكن "حبة حبة" كما تقول نجمة، و الجو الايجابي جعل صحة ابنها تعود شيئاً فشيئاً حتى تمكن من المشي أخيراً.

مرت ثلاثة أشهر من الأيام الهادئة الهانئة السعيدة، نست خلالها نجمة أمر زوجها، و كل أمرٍ آخر من حياتها السابقة.

ثم كان يومٌ أجابت فيه نجمة و ولديها مع آمنة دعوةً من هاجرة و توفيق على الغداء في منزلهما.

و بينما هم جالسون، إذ بدقٍّ عنيف على الباب قام له توفيق و فتح له:

"فينه هذه النجمة؟!"

"ايش تشتي يا خالد؟!"

"فينه نجمة أشتي أهادرها!"

"كي روح لا تجي لهنا!"

"أنا بوري أبوك عادك ترادد و تتبالط عاللي أكبر منك!"

تعارك توفيق مع صاحب الصوت، التي كانت له الغلبة، و رمى بتوفيق الى داخل البيت و اصطدم رأسه بجدارٍ قريب حتى أدمى رأسه و أصيب بدوارٍ ما عاد يقدر على الوقوف بعدها، و قامت هاجرة تعاين زوجها و تمسح عن رأسه الدماء، قبل أن يدلف و يداهم من تهجم عليه.

خالد.....و من خلفه أنيسة.....غير آبهين بحرمة بيتٍ و لا مسكن.

و هنا قامت نجمة: "خالد! وصلت إنك تتهجم على الأوادم داخل بيوتهم ما تستحي؟!"

"و الله اللي ما يستحي هي أنتي! تسرقي فلوسي و تروحي تلعبي فيها!" رد خالد بكل وقاحة.

"على صلبطة! ايش من سرقتك ايش من فلوس؟! أني و لا معي من الدنيا إلا ربي ثم عيالي، خلاص قدك جدلتبي من البيت و شليت عفشي! ايش عادك تشتي؟!"

"أنا لا أقول و لا اتسلبط عليك! معك بيت استأجرتي مدري من فين معك! و معك تجارة بين المحلات و الدكاكين، هذه مش بيس؟!"

"قول يا خالد ايش تشتي الآن بلا جنان!"

"اشتي حقي حق إيجار ستة شهور عندك، الحالة جفاف، و الحق حق"

"ايش من إيجار ايش من حق انت لا تسألني و لا أسألك مالك تتجنن؟!"

"هو لا قدك بتتجنني علينا نحنا كمان بنتجنن!"

التفتت نجمة إلى أنيسة و بادرتها: "و انتي ايش جابك؟! مرافقة سكرتيرة معه بِدِيلْتُه لابصة فيبه؟!"

فأجابت أنيسة بهزة كتف: "و الله يا نجمة يا جارتي يا حبيبتي، عشان أفهمك إنك ما تهوني عليا، كنت أسأل عليك أدور لك عشان اطمن على حالك، أصلاً اختفيتي من ديك اليوم قلت لك زوجي داخل حتى ما صبرتي، سألت عنك لما حصلتك هنا بكريتر، هانت عليك المعلا و العشرة"

فردت نجمة: "و الله إلا جلستي تراقبيني فين رحت فين أجيت، و بعدين كما الطير المغرد لما عند خالد، ما كنت أعرف إنك هكذا عقربة و حية"

"العقربة و الحية إلا هذه المستقيمة وراءك الساكتة الخادمة!"

"مين؟! آمنة؟! ايش لك من المرا؟! ايش لك ايش لك ايش لك؟!!!"

"هذه اللي تدافعي عليها هي اللي بعيني بعيييني كنت أشوف زوجك زكريا داخل خارج من عندها من بيتها، بس ما كنت أشتي اقول لك استغفر الله استغفر الله من شان ما يخترب بيتك و انتي نايمة راقدة هبلة يستغفلنك و يزيدوا عليك"

"زكريا؟ و آمنة؟" نظرت نجمة باشمئزاز إلى أنيسة.

"ايوا و لو تشتيني أجيب الختمة أحلف بأحلف يمين الله إنني شفته يتردد كم مرات للبيت حقها"

"وا اسفاه عليك يا أنيسة، لأنني بأقول لك، إنني حتى لو شفتهم شفت اللي تتكلمي عله قدامي قداامي، ما كنت شكيت فيبهم أبدًا! لا هو و لا هي!"

"آو آو، ايش من هدرة دي هدرة جهال و مجانين" استهزأت أنيسة.

ثم استشاط خالد غضباً: "دحين بتخارجونا؟! أنا ايش لي من الهدرة الجازعة حقكم دي؟! أنا أشتي البيس حقي!"

"و الا ايش بتفعل يا خالد؟" نظرت له نجمة بتحدي.

"ساعتها اللي استوى لهذا الواطي اللي رفع صوته عليا، بأوريك اللي أخص منه لك و لعيالك!"

ثم.....

طُرِقَ باب البيت...

تلفت كل من كان هناك لبعضهم البعض، ثم ذهب خالد لينظر من في الباب: "هيا تمام، ناقص أنا الجيران حقكم يغيروا عليكم!"

و لما فتح خالد الباب، تراجع و كأنما موجة هادرة دفعته دفعاً للخلف و هو يظهر فزعاً غريباً.....

شهقت الأبصار لذلك الدخيل الذي دخل.....

و صاح الكل بصوتٍ واحد لرؤيته.....

"زكريا!!!"

14.البعث بعد الرقود

رجلٌ كانت له نفس ملامح خالد، غير أنه حليق الرأس، و وجهه مكلح بالكدمات، و جسده مصبوغ بالرضوض و القطعات، ظهره منحنٍ بعض الشيء، و ينقصه الاصبع الكبير من قدمه اليسرى.

كانت لهالة هذا الرجل بحد ذاتها القدرة على إرسال خالد بعيداً، حيث تقدم هو مجبراً كل من كان هناك على أن لا يجرؤ على أن ينبس ببنت شفة، عدا الطفلين، الذين ما إن وقعت أعينهما عليه حتى قفزا قفزاً إليه.

"بابا!!!"

"بابا!!!"

فالتقطهما، و صنع ما يصنع الوالد بولده، يحتضنهما و يقبلهما و يشمهما بعد فراق صعب مؤلم، و غلبته دمعتين نزلتا من كل عين....و لم تملك نجمة نفسها، فما إن اقتربت حتى التقطتها زكريا و احتضنها مع أولاده، و غلبتها دموعها هي كذلك.

ثم بعد أن تركهم بعد احتضانٍ طويل، أرسل نظرةً و ابتسامةً خاطفة إلى زوجته المشدوهة الغير مصدقة لرؤية أنه هنا حي يرزق، بالهيئة التي هو عليها.

ثم أنه استأذن ولديه، و ذهب إلى آمنة و قَبَّل رأسها و كفها و كأنها والدته أو أخته الكبيرة في مشهدٍ و طريقة أضافت كتلاً من علامات الاستفهام فوق رؤوس الحاضرين.

هنا، لم تتحمل أنيسة و قفز صوتها يخلع الآذان: "شفتوا! قلت لكم! هذا الرجال بطال مش تمام! هو و هذه الخادمة! قلت لكم إنه في بينهم!"

التفت زكريا إليها بطرف نظره و تجاهلها، و ذهب و أسند توفيق و أوقفه و ساعده على النهوض: "سامحنا يا توفيق و سامح أخي و امسحها فيبي" تكلم زكريا أخيراً.

"الله المستعان يا عم زكريا هذا بيتك و لحم ظهري من خيرك" أجاب توفيق محرجاً "اتفضل اتفضل يا عم زكريا"

و قَرَّب له مدكاً و اتكأ زكريا عليه، مطلقاً نحنحةً توحي بأن ظهره يؤلمه، ثم التفت للبقية "مالكم مستقيمين كما الكامبات؟ جسوا جسوا؟ معانا موضوع سع الشارع الرئيسي"

"الحمد لله عالسلامة ياخي" انبرى خالد بعد أن جلس و جلس الجميع.

فرد زكريا بعد أن زفر متأففًا: "ايش من سلامة ايش من خرط و أنتم وجوههم ترد الرصاص أخص من حما عدن"

"سلامات يا أخي مالك و لا شر عليك، منو فعل فيبك كدا؟" سأل خالد في توتر ملحوظ.

"لابد عصابة و الا مافيا من دناك الطليان دخل معاهم و بغروا" مزحت أنيسة في ثقل دم.

التفت إليها مجدداً زكريا و اعتدل في جلسته و أخرج هاتفه من جيبه: "دحين انتي يا أنيسة ايش جابك هنا؟"

"أجيت أشوف أم عمران أطمن عليها كان في موضوع و....." أجابت أنيسة.

ليقطعها زكريا: "لا لا قصدي ايش عادك جالسة تسوي هنا تتمسحي كما الموب؟"

"كيف؟"

"أقصد مالك جالسة هنا نقيرك من نقيرنا؟ ليش ما تروحي تشوفي بيتك و زوجك؟"

"و الله شكلهم داغلنك هناك يا أبو عمران، أنت تعرف معزة أم عمران عندي"

"واضح، و الدليل كل فعايلك و عمايلك معاها"

"مالك يا أبو عمران، قول خير، أنت ما هلكلش و الا كنت شفت كيف وقفت معاها كم مرات"

"أنا ما بأطول عليك يا أنيسة" ثم فتح زكريا هاتفه و دخل إلى برنامج المحادثات الأخضر و فتح عدة تسجيلات صوتية، سُمِعَ منها هذه الجمل:

-"منو؟ زوجي؟ اصقلك منه دا لو كان في شراب يشربنه للمرجلة ولا بيدخل به"

-"بس جسيلك! الرجال لو ما توريهم العين الحمراء و تقطفيها من بدايتها بيتزجوا عليك، شوفي كيف سويت مع أبو راس اللي عايشة معه خليته زي الخاتم بيدي، هو و صوته داك اللي كما الدجاجة يقاقي"

-"مش رجاااال أقول لك مش رجاااال"

لحظات صمت مرت على الجميع، هذه التسجيلات كانت بصوت أنيسة، انبثقت من جوال زكريا.

"ا.....اصلو دا؟" سألت أنيسة في توتر و خوف و جريان للعرق على جبينها.

"مو اصلو دا؟ روتي و فاصوليا، اصلو دا، هذا مش صوتك؟" أجاب زكريا في سخرية.

"منو جاب دي الهدرة؟"

"ركزي معي، مش دا صوتك؟ بالأمارة هذا من بعد كم جلسة عند الحريم بعد الحادث حق ابني، انتي و حقك المواتاة"

"دحين...كيف.....منو سجل؟!"

"مالك من اللي منو سجل، الآن شوفي، كل هذه التسجيلات قد اترسلت لجوال زوجك، و أنا أعرف زوجك رجال حاله حال نفسه لا يتداخل و لا يآدي، بس كل مُدَنِّي و تحته جني، و أنا أعرفه لما يتعصب و يتزرجن و يتكنتر يرجع ما يعرفش اللي قدامه حتى لو أمه، الآن قولي يا أنيسة، بتجسي معانا هنا تتسمعي هدرتنا؟ و الا بتلحقي زوجك يمكن يكون عاده ما سمع التسجيلات؟ القرار قرارك و نحنا ما بنكردك انتي مننا و فينا"

"أنت ايش تهدر و ايش تهبشكلك؟!"

"براحتك"

تلفتت حولها في وجوه الحاضرين الناظرين إليها، ثم ابتلعت أنيسة برميلاً من اللعاب في حنجرتها عله يرطبها و يخفف من وقع ما سمعته، قامت على إثر ذلك و جرت، حتى انها تعثرت بإبريق الشاي و سقطت على وجهها، و لكنها لم تكترث، و كان حتى لو صدمها قطار في تلك الساعة لما اهتمت لعلمها بالمصير الذي ينتظرها لو أمسك زوجها بهاتفه، و خرجت أنيسة بسرعة الذباب.

"أساساً التسجيلات قدها عنده من الظهر و الرجال قد قراها، هي اللي ميبين الظهر محد داري فين تدهج، مسكينة الله أعلم ايش منتظرها بالبيت، بيزرقبها من بلكونتهم لما حافة الريل، ايش رايك بس يا أخي؟"

"ايش فيبك يا أخي ايش اللي جرابك؟ منه اللي سوى بك كدا؟" سأل خالد.

اعتدل زكريا في جلسته و نظر إلى أخيه و تنهد: "دحين تسأل ايش اللي استوى بي؟ و الا أسأل أنا ايش عملتم من بعدي؟"

و توجه خالد بنظره إلى أخيه: "شوف مالك ايش حالتك كأنك خارج من حرب، ايش حصل ياخي؟!"

أرجع زكريا ظهره إلى الجدار، و بدأ: "من حقكم تعرفوا ايش اللي حصل لي و ايش اللي مريت فيبه، غربتي في أوروبا ما كانتش غربة، كنت الا بس مشتاق لبيتي و مرتي و عيالي، ما كان يهمنا أي حاجة تاني، أروح شغلي و ارجع السكن و هذه هي حياتي، انتظر اليوم اللي بأكون قدرت أجمع المبلغ الكافي اللي بيقدرنا أفتح مشروع قوي هنا بعدن و خلاص اتعيش منه و أنا جنب عيالي، و بعدها، الله أراد إنه يبتلينا و يمتحننا، مش بس أنا، أنا و مرتي و عيالي، يشوف نحنا كيف بنسوي، اللي حصل هو اني ما كنت أعرف نوعية سكان العمارة اللي كنت فيها، و لا يبان عليهم إنهم ناس مش سوى، اللي بالغرفة اللي جنبي شغلته يجيب و يودي حريم لأماكن الله لا وراك، و اللي معي بالغرفة زميلي كان حق مخدرات يبيع و يشتري"

ثم سكت قليلاً زكريا و حاول اخفاء الرعشة في يده، و نجح في ذلك، إلا من نجمة التي أبصرته....ثم أكمل: "كانوا دونا النفرين أصحاب الروح بالروح بدهم يرقدوا بنفس الغرفة، بس للآن ما عرفت السبب اللي خلاهم مفرقين، المهم بيوم، أجا جارنا و دق الباب و شل من صاحبه ما ادري ايش من صنف، بعدها بنص ساعة اجا يدقدق الباب و هو فجعان، فهمت منه و من صاحبه إنه وحدة من البنات اللي عنده لما شربت من داك الصنف فلتت من طولها و ماتت بساعتها و هو مش عارف كيف يتصرف، و هو و صاحبه صقلونا و انا اصيح أقول لهم لا تدخلوها لعندي و هم الا الا، و قفلوا الباب، و هيا اجولك بقية النسوان من الغرفة التانية هم كمان اجوا يدابجوا الباب يصيحوا، المنظر و الموقف دا، لليوم يزرب ديمي، لأن اللي بعده ما كان سهل، عرفت وقتها إن يمكن حياتي خربت"

تنحنحت نجمة و اقتربت قليلاً من زوجها: "هذا...لما اتصلت بنا آخر اتصال"

"صح.....يا نجمة فديت رجولك، ممكن قلص شاهي؟"

"بس انتا ما يعجبك الشاهي"

"أي حاجة من يدك طيب الله يرضى عليك"

"من عيووووني"

هنا تدخل خالد بصورة المهتم: "دحين يا أخي بتشرب شاهي ببيوت الناس؟ تعال بيتك اشرب لك براحتك"

ليجيب زكريا: "بيتي و الا بيتك؟ يا توفيق، عندك مانع لو جلست و ريحت هنا؟"

"لا أبداً الله المستعان يا عم زكريا أنا باقتلب لك مجلس و مدكى" أجاب توفيق في حماس.

"أنتا في حاجة براسك مدري مالك، مدري ليش تشتي تسمع الناس مواضيعنا" استنكر خالد.

فأجاب زكريا: "مواضيعنا؟ ايش من مواضيع؟ و أنت سمحت لهاديك الأنيسة تخرج أخبارنا و أسرارنا و تنشرها على كل لسان"

"يعني تشتينا أصايح حرمة؟"

"لا يا أخي الحبيب، كان ممكن تكلم زوجها، بتعمل موقف، بتسوي أي حاجة، لكن لا، طول عمرك سلبي و بتظل طول عمرك سلبي، هذه الجلسة حوارها مش عني، هذه بتكون عنك و عن اللي عملته"

"إيش عملت؟!"

ثم قاطعه مجيء نجمة بكأس هو أكبر كأس قد يراه انسان بل هو أقرب للإبريق تتوجه به إلى زكريا و هي مبتسمة، لتتهلل أسارير وجهه قليلاً: "لا تقوليلي!"

"كان معي قرطاس كوفي بالشنطة، عملت لك هو مع القلص الكبير اللي هديته لهاجرة"

"انتي يا شيخة.....ما فيش منك حبتين" قالها بمرح و هو يتسلم ابريقه و كأنه تلميذ يتسلم تكريماً من مدرسته، ثم يرتشفه بتلذذ "احححححححح.....أقسم بالله هدأت، الآن أقدر أكمل"

ثم أكمل:

"اييييييه، و داهمت الشرطة المكان، و شلت كل اللي كانوا هناك، و أنا معاهم، و التهمة لبصت فيبي زي الشنجم، رغم ان الحمير اللي كانوا معي قالوا للشرطة اننا مالي دخل، بس كان صعب الشرطة تصدق، جثة و مخدرات في بيتك، و عاده لما دروا إننا عربي و مسلم، هات لك يا خباط، هات لك يا صفاخ يا دكام يا زباط، هات لك كهربا، راحت صبع رجلي بسببهم، و ظهري اعططف ما عاد اقدر ارجعه، و شعر راسي نفل، يشتونا اعترف، بس على ايش اعترف؟ يحسبوا معي عصابة جبتهم من بلادي.....هيه.....حتى بعد الكوفي حتى بعد ما حاولت أهدأ.....مكانهم يداتي كيف ينتسفوا"

و مد يده يريهم كيف ترتعش كأخص مما يرتعش حيوانٌ مبتل في عز الشتاء، جعل ذلك نجمة ترمي ما يدها و تمسك بيد زكريا تذرف عليها، و قفز الولدين عمران و عدن كذلك يبكيان.

"لا حول و لا قوة الا بالله" ضرب خالد كفًّا على كف.

هَدَّأ زكريا أسرته، ثم استطرد: "بس تدري يا خالد؟ دا كووووووله اللي استوى بي؟ كان أهون عندي، من لما عرفت ايش من مرمرة مرمرتم بمرتي و عيالي و أنا غايب، كنت أظن إني سيبت أسرتي بين أهلي و ناسي في بلدي"

"مو من مرمرة يا زكريا؟ عيالك كنت بأطرحهم بعيوني، بس مع احترامي، زوجتك ما كانت تقبل، الله يهديها و سامحها كانت تتكبر علينا، و تبعزق بفلوسك هنا و هنا عاللي يسوى و اللي ما يسوى"

"هذه صفة تانية فيبك يا خالد، إنك دايماً تنكر الحق، و فيسع تلعب دور الضحية و تتقن هذا الشي من كنا جهال، هذه فوق صفتك الأولى اللي هي إنك

لا توصل رحم و لا تكلم أحد و تقاطع كل الناس اللي قدامك، ما تظهر إلا لما عندك مصلحة لنفسك، و عشان أثبت لك كلامي، تعرف من هذه الحرمة يا خالد؟" و أشار زكريا إلى آمنة.

"من؟ دي؟ ايش درانا وحدة خادمة؟ ايش دخلنا"

"هذه يا أخي، ياللي من لحمي و دمي، هذه أختنا من الأب، اسمها آمنة جلال العدني"

"إييش؟!!!" ترددت ردة الفعل هذه بين الجميع، التفت زكريا إلى آمنة، فوجدها تشيح ببصرها، ثم التفت إلى خالد فتلقى منه كل إشارات و علامات و أمارات التعجب و الاستغراب و الاستفهام، فأخرج له من جيبه صورة بطاقة آمنة الشخصية ليجعله يتأكد.

"أبونا، الله يرحمه و يسامحه، كان مزوج أم آمنة و طلقها و آمنة عمرها تلتطعشر سنة، و راح اتزوج أمنا، و الباقي قدك تعرفه لما أجا أمر الله لأمي و أبي، نحنا دبرنا نفوسنا، بس آمنة جلست ترعى أمها اللي أجالها اكتئاب و بعدين خف عقلها، تدري مين أم آمنة؟ تذكر هذيك الحرمة اللي كنا نقول عليها مشطوفة و نسرق الشلنات حقها و نآذيها؟"

"ديك أمها؟!" تفاجأ خالد.

هنا تذكرت نجمة أنها زارت مرةً امرأةً عجوز رأت آمنة عندها، و هذه المرأة العجوز كانت تأتي لزوارات الجمعة في بيت نجمة في السابق، فسألت: "هذيك أمك يا آمنة؟! ما كنت أدري و الله! فينها الآن؟"

أجاب زكريا بدلاً من آمنة: "قد ماتت من فترة، الله يغفر لها و يرحمها"

"دحين مالك يا زكريا من فين تجيب دي الخبابير؟! من فين تطلع لنا أخت من تحت الأرض كدا؟!" صاح خالد.

"طبيعي يا خالد ما تدري و لا تدري أدنك من نخرتك، ابني جلس منوم بالمستشفى شهر، هل أجيتا تزوره؟ هل أجيتا تتفاقده؟ هل رفعت سماعة تطمن عله؟"

"الظروف و الوضع يا زكريا تخلي الواحد ما يدري بنفسه"

"ايش من وضع يا خالد؟ الوضع الوضع الوضع كلما كلمك أحد حسستنا إنك حبلى، خاف الله يا شيخ كلما أحد كلمك على حاجة تقول الظروف و الوضع، المشكلة مش في الوضع، المشكلة فيبك أنتا، أنتا اللي ما تشتي تكلم أحد، لدرجة راح عليك تعرف إنه في معانا أخت على وجه الدنيا، صح إننا كمان بالصدفة عرفت لما مرت بطاقتها على يدي و أنا بشغلي عند التاجر لما كنا نوزع مساعدات، قريت الاسم الرباعي شفته متطابق، و رحت أسأل عنها لما عرفتها و عَرَفَنَّا، كم مرات كنت أحاول أجي أكلمك على دا الموضوع و على مواضيع كتير ما ترضي تسمع و لا تتفاهم، متى استمعت لي و فكيت عيونك و ادونك؟ لما قلت لك بأسجل البيت باسمك و أنا بأسافر، للآن أدكر كيف قشننت"

"و حافظت لك على بيتك و الا لا؟ قول كمان ما انتبهت لك على بيتك شوف كيفه كما بيوت الخليج مصلح مرتب"

"حافظت عليه أيوا، بس ما رعيت حق أسرتي، و رميتهم رمية الكلاب"

"هذا الشي ما حصل"

"أنا ما بأقول لك احلف و لا حاجة، الأخبار قدها كلها عندي"

"كيف؟"

"بعد ما استجنت بفترة، سمحولي بمكالمة هاتفية، حاولت اتصل على نجمة بس ما مسك معي، قمت حولت على آمنة و جاوبنا، سمعت منها عن الحادث عن عمران، و سمعت كمان عن إنك كنت مختفي و لا لك حس، قررت و أنا هناك إننا أسوي اختبار، أعرف منه مين صديقي مين عدوي، كنت اتصل مرة بالشهر

على آمنة و هي تجيب لي كل الأخبار، منها عرفت لما تركت الكل يتكلم على أخوك، و منها عرفت لما اتسببت بإن أسرتي تتشحطط و تنام بالشوارع، و انت ما اهتز عندك شعرة عشان عيال أخوك"

"و اندكهم بخير و الحمد لله و الله ردك بالسلامة لنا"

هز زكريا رأسه في خيبة أمل: "كنت انتظر منك ياللي على أساس انك أخي تقول أنا غلطان و سامحنا يا اخي، أو حتى آسف، كان و الله ممكن بيقع كلام تاني، لكن خلاص" و قام زكريا، و ذهب إلى توفيق، الذي قام هو الآخر، و مد له زكريا ورقة صغيرة و سلم عليه: "استودعتك الله يا توفيق، هذا رقمي، لو تحتاج أي أي حاجة كلمنا لا تستحي"

"الله يخليك يا عم زكريا و الله ما نستغني و خيرك سابق و كفيت و وفيت" رد توفيق السلام.

"امشي يا نجمة يلا، امشي يا آمنة، امشوا يا عيال، عدن، عمران، يلا بنروح" أمر زكريا أسرته فتحركت من فورها.

"فين بتروح؟!" ظل خالد يرددها و يرددها و هو يتبع زكريا و أسرته طوال الطريق من جولة زكو و حتى مواقف السيارات أمام البنك الأهلي اليمني.

"ملي فين بتروح؟!" صاح خالد بصوتٍ مرتفع، ثم أبصر على السيارة البيضاء المتواضعة، جوازات سفر فيما بينها تذاكر سفر، "ايش بتسافر؟!"

تجاهل زكريا خالد، و التفت إلى نجمة التي استقرت جانبه: "دحين تقولي في صرافين مفتوحين؟"

"ايوا مليان" أجابت نجمة.

"تمام بنجزع أول لعند صراف باسحب مبلغ"

"ملي رد عليا كلمنا!" ضرب خالد على غطاء السيارة في غضب.

ليرد عليه زكريا في صوتٍ هادئ: "دحين ايش تشتي؟"

"قل لي بتسافر؟!"

"ايوا"

"ليش؟!"

"ايش ليش؟ ايش لك ياخي بأشل أسرتي و بأسافر و بأخلي لك البلد بكلها لك"

"ملي و بيتك ياخي، لو سمحت ياخي، تعال بيتك و ادخله معزز مكرم"

"هذا بيتك و باسمك، شله و اشبعبه، و اعتبرنا ميت، و باعتبرك ميت، أنا ما عاد عندي أخ خلاص، متبري منك دنيا و دين، انت اخترت البيت و وسخ الدنيا على أخوك و أسرة أخوك، يلا شله، أما أنا انسينا خلاص، زيما أنا بأنسيك الآن"

و داس زكريا على الدواسة و سار بالسيارة دون أن يلتفت للخلف.....

****

البريقة.....

من يقف من الطرف الآخر للبحر يرى شاطئها البراق و أرضها الغليظة التي اختلطت فيها الحجارة و الرمال و الطين و الغلظاء، معادلة مفقودة في كل عملية، كالأفكار التي جالت في بالنجمة عما ستؤول إليه الأمور الآن.....

بعد أن رجع من عند أحد الصرافين في شارع الملكة أروى، نظر زكريا إلى أولاده عبر المرآة: "يا عيال! ايش رايكمممم نروووح سكريم بابا شرف بالتواهي! و بعدين نروح كود النمر!"

و كانت ردة فعل الأطفال الحماسية الفرحة أكثر من كافية كإشارة لمعرفة موافقتهم، و فعلاً توجه إلى هناك و اشترى لهم و بزيادة، ثم توجه بهم إلى ساحل كود النمر الواقع في مديرية البريقة، و طوال فترة الرحلة الصامتة شعرت نجمة ببعض التوتر و القلق.

و خفف بعض التوتر و كسر الصمت أغنية تصعد من مسجل السيارة:

فين التقينا وشفتك فين
وفين جلسنا سوى يازين
ذكرني فين شفتك
يازين وقابلتك
والا تقل لي التقينا فين
ذكرت لقيانا يا للي غرامك زاد
لما تلاقنيا صدفة بلا ميعاد
وقلت لي كلمة
مصحوبه بالبسمة
والجو خالي من الحساد
من كان معانا غير النجوم تشهد

ثم حين وصلوا و أوقف زكريا السيارة في المواقف انبرى قائلًا: "يا عيال، بتشلوا السكريم و تنزلوا البحر مع عمة آمنة؟"

لفت نظر نجمة الإشراقة التي تهلل بها وجه آمنة، لم تكن تلك الابتسامة الباردة المخيفة كما عهدتها نجمة، بل ابتسامةً بريئةً دافئةً تحبب من ينظر إليها، أزاحت معها ما كان في خاطر نجمة.

ثم أتبع زكريا: "من يوم و رايح هذه تقولوا لها عمة آمنة، هذه أخت بابا، قولولها لو سمحتي يا عمة آمنة ودي نحنا البحر"

"ودي نحنا لو سمحتي يا عمة آمنة!"

"حااضر يا حبايبي"

و نزل الطفلان مع عمتهما إلى الساحل حتى تواروا عن الأنظار.

و هنا....

أمسك زكريا بيد زوجته: "فقدتلك"

"و الله و أني" أجابت و ابتسامتها تملأ وجهها.

و قاطع لحظة وُدِّهِما رنة هاتف زكريا، فرد عن طريق مكبر الصوت: "ها بَشِّر"

فأجاب المتصل: "كله تمام يا فندم"

"و المطرقة؟"

"بالمكان اللي أمَّرت عله يا فندم"

"تمام تمام، فلوسك بتلاقيها عند صاحب مطبعة زين على شارع المطحن بالقلوعة على نفس الخط حق مصنع النجارة، قل له من طرف أبو عمران"

"واصل يا فندم"

و بعد أن أغلق، لم تتمالك نجمة فضولها: "منو دا يا زكريا؟"

"دا يا عزيزتي.....والا أقول لك....خلاص بس"

"زكريا، من أولها؟ لا توجع لي قلبي قدك تدري بي اتعب لما تسوي لي دي الحركة!"

ضحك زكريا من قلبه رغم أن الضحك يؤلم صدره و لاحظت نجمة ذلك.

"هذا واحد، جبت له بيس، و أمرتله يروح يكسر الفريمات و الزجاجات حق البابور الجديد حق صدام"

"صدام؟"

"صدام داك اللعين الوسخ اللي رحتي تدوري شغل عنده"

"آو! الله يشله!"

"وصلنا خبره من آمنة و حلفت و الله ما راحت له، جبت هذا الليد و كلفته بدي المهمة، و بعد ما يكمل، يجدل المطرقة لداخل البيت القاعي اللي الحرمة فكنه كوافير جنب فرم الجماهير بالخلفي بالمعلا"

تذكرت نجمة فوراً، و هذه المرة لم يضايقها كونها أنثى ذات ذاكرة قوية، إنه صالون كوافير تلك السيدة التي ذهبت تنظف و تخدم عندها و أكلتها حقها تحت لسانها السليط.

"و إيش صَنَّف لك؟!" استفسرت نجمة.

"أنا حلفت ما أبقي أحد من اللي آذاك إلا و أردها له، يا نجمة، أنتي أطيب انسانة ممكن أحد يقابله بحياته، و سواء غلطتي بأي شي و الا لا، ما كنتي تستاهلي اللي استوى بك، و أزيدك؟ آمنة بعد ما ماتت أمها، حصلت وريتة منها، و بالفلوس قفزت و سافرت و أجت زارننا بالسجن، سافرت و قطعت مسافة لما داخل أوروبا، سوتها الحرمة ما سواها أخي الرجال، و حاولت تلاقيلي محامي يخرجنا، أنا ما كان بيدي شي لأن الشرطة حاجزة حسابي اللي مهكب له بالبنك، لاقت إنه في خبر من مكتب تعاوني عن مقيم مفقود، و على كدا أجوا أصحاب حقوق الانسان و حركوا سلاحفهم لمممما خرجونا، و ضاربوا لما خرجولي تعويض عن التعديب و الدجاف اللي حصلته داخل السجن، دارية كم حصلت؟ مية ألف يورو غير تعويض بحاجات تانية من علاج و مستشفيات و ادوية و كدا"

"ماشاء الله!!!"

"دا مقابل طبعاً اتنازل عن أي شكوى و اسكت عن اللي استوى"

"و انتا وافقت؟"

"أكيد وافقت، خلاص زحفت أشتي أرجع لكم، حسي عندكم أشتي ألحقكم، خصوصاً بعدما ما دريت باللي استوى بكم، اللي حسيته بأوروبا ما كانش غربة، اللي حس بالغربة هي كان انتي يا نجمة، انتي اتغربتي هنا، و عشان كدا، نحنا

مالنا جلسة هنا، بأجر لنا بفندق لما وقت السفر و بعدين بنسافر، بنروح نعمل عمرة أول إن شاء الله، و بعدها، نبدأ حياة جديدة برع"

"زكريا.....حاضر.....اللي تشوفه أني معاك...بحق ما صبرت و كافحت و عانيت عشاننا، أني ما بأنسي لك هذا طول حياتي لما أموت"

"ربنا يخليك لي و لعيالك يا قلبي....احم.....امشي ننزل قبل ما تشك فينا آمنة"

"جني شلك" ضحكت.

و نزلا حتى الساحل، تلقي شمسٌ حارة مودعة سلامها عليهم في ضوءٍ برتقالي يختفي خلف أفق البحر، معلنةً نهاية حرها و بداية شيءٍ من هواء الليل العليل رغم رطوبته، و عَرَجَ عرجاً بحماسٍ زكريا إلى أولاده، يلاعبهم في حب متناسين كل ما في الدنيا من انسٍ و جان و أحداث، هنا ابتعدت آمنة قليلاً لتفسح المجال للأب الغائب ليملأ قلبه و عينيه من ولديه، و اقتربت من نجمة و وقفت بجانبها.

"ايش عاد قال لك؟" سألت آمنة.

"قال بيسفر بنحنا كلنا أوروبا" أجابتها نجمة.

"هممممم"

"مالك؟"

"أفكر"

"بإيش؟"

"أفكر إنه.....كيف الناس اللي هنا بيسووا من غيرك"

"ايش بيسووا؟ بيعيشوا حياتهم طبيعي ايش دخلني"

"لو تدري يا نجمة، الناس، و دي المدينة، كم بتخسر من سفر وحدة زيك، لو يدروا الناس إن الوضع ما يختبط و لا يتصعب من قلة الفلوس و الرزق، الوضع يتصعب من قلة الطيبين و لما ينقصوا و يختفوا من بين الناس"

"يلا الحمد لله"

"و دحين بتسافري و بتتغربي"

"عادي"

"عادي تتغربي؟ يهون عليك فراق عدن؟"

"ايوا عادي، ممكن عدن تكون حلوة، بس يمكن أني اللي ما استاهل عدن، عدن لها ربها يحميها، و اللي حاميها و خلقها أكيد خلق المكان اللي ينفع لوحدة زيي، وحدة كانت خارجة عن اللي اتعودوا عليه الناس هنا، و عموماً، زي ما أني كنت متغربة هنا، مش فارقة معي لو كنت متغربة هناك، بس الفرق.....إنها بتكون غربة تستاهل.....بتكون غربة محمودة"

**********النهاية**********

الغربة المحمودة - حسين طلال

الغربة المحمودة - حسين طلال

"حقهم الشاهي و الحمير تاااني"

"سبحان مغير الأحوال"

"فعلاً.....في حاجات كتير اتغيرت، اتغيرت فيبي، لكن الناس، و هذا المكان، أبداً ما بيتغير"

"ايش اللي اتغير فيك؟"

"لما سافر زوجي، قال لي بتكوني بين أهلك و ناسك، في البداية ما فهمت كلامه، و تشتي الصراحة؟ للآن مش فاهمة قصده، ايش يقصد أني بين أهلي و ناسي؟ من هم أهلي و ناسي؟ ما عرفتهم و الله، و لا اعرف أحد أني"

"خانك التعبير، انتي ما اتغيرتي أبداً، و لا حتى الناس اتغيرت"

"إذا هذا الاحساس هو الغربة، معناتني عمره ما كان لي بيت الا غرفة نومي لما أبند على نفسي"

الغربة المحمودة (رواية باللهجة العدنية)

تأليف: حسين طلال

تواصل مع الكاتب مع صفحته
فى موقع فيسبوك أو على رقمه
فى تطبيق الواتساب

00967773314203